غرائب المكتوبجي

Gharā'ib al-Maktūbjī

تأليف

سليم سركيس

صاحب جريدة المشير ومديرها ومحررها

وهو يتضمن ما عرفهُ محرر المشير بنفسه وما بلغه من رصفائه في تركيا عن مراقبة الجرائد في المملكة العثمانية

طبع على نفقة جريدة المشير بمصر

سنة ١٨٩٦

(ترجمة عن الاصل الانكليزي)

من مدير المشير المسؤول الى محرره

صديقي العزيز :

بينما كنتَ تشرح لي اكثر الاحيان ظلم حكومتك وضغط المكتوبجي عليك وعلى رصفائك من محرري الجرائد العثمانية كنتَ تدهشني باخبارك حتى بلغ من دهشتي ان اقترحتُ عليك وضع هذا الكتاب ليطلع على محتوياته ابناء مصر وسكانها وليقدّروا نعمة الحرية التي هم فيها الآن كما سيطلع عليه ابناء وطني بلغتنا الانكليزية · اما وقد مثلتَ الكتاب بالطبع فانني اصادق على تأليفه وطبعهِ وافوّض اليك نشره تحت اسمي ومسؤوليتي واحفظ لنفسي ولجريدتنا المشير حق طبع هذا الكتاب وترجمته واخطر الذين يحاولون اختلاسه الى اللغة العربية او الى سائر اللغات انهم تحت المسؤولية اذا فعلوا · واقبل تأكيدات دعائي بالنجاح لمشروعنا العائد بالنفع ان شاء الله

مصر في ٢٦ افريل سنة ١٨٩٦ — مدير المشير الانكليزي

فذلكة

حتى متى لا نرى عدلاً نسرّ به ولا نرى لولاة الحقّ اعوانا

مستمسكين بحقّ قائمين به اذا تلوّن اهل الجور الوانا

يا للرجال لداء لا دواءَ لهُ وقائدٍ ذي عمًى يقتاد عميانا

كلمة من المؤلف

ولم ارَ كامريءٍ يرنو لضيم لهُ في الارض سيرٌ وانتواء
وما بعض الاقامة في ديارٍ يهانُ بها الفتى الا عناء

قضي عليَّ ان أُولد في المملكة العثمانية من والدين عثمانيين لحكمة لستُ ادرك غايتها كما قضي على سائر العثمانيين ان يصيروا الى حالة سقوطهم الحاضرة . فلا هم في مقدمات الامم المتمدنة ولا هم في أُخرياتها

يعجزون بعجز حكومتهم وظلمها عن ادراك شأو سواهم ثم لا يمكن ان يقال عنهم انهم في حالة الخمول لانهم مع كل التضييق الحاصل لهم قد تقدموا خطوة مهمة في العلم والمدنية

اما انا فتوالت عليَّ النكبات فاول مصيبة أُصبتُ بها انني ولدت في بيروت فصرت بحق مولدي وليس بارادتي من رعايا الحكومة العثمانية وهذه انكى المصائب وأُولاها

والنكبة الثانية ان اهلي ارسلوني الى المدارس حيث تلقيت شيئاً من العلم فاصبحت في علمي استحق ان يشفق عليَّ الجاهل وصرت اتمثل بقول الشاعر

من لي بعيش الاغبياء فانه . لاعيش الاَّ عيش من لم يعلم

والنكبة الثالثة انني تعلمت اللغة الانكليزية بنوع خاص فاصبحت لا اقوى على احتمال الخمول وانا اقراء جرائد اوربا ومؤلفاتها واغذّي عقلي بمباديء التقدم والحرية . وهكذا تولدت فيَّ الاميال الى نصرة الحق والرغبة في مقاومة الظلم ولو كان في ذلك هدر دمي

والنكبة الرابعة — انني بعد خروجي من المدرسة عهد اليَّ بتحرير جريدة

لسان الحال فلبثت في ذلك العمل مدة ٨ سنوات وامسكت زمام الرأي العام كلّ تلك المدة الاَّ انني لم اقدر ان استعمل حريتي في ادارته • فكنتُ كمن وضعتَ امامه الحلوى وهو مغرم بأكلها ثم منعته عن ان يمسها بيده • وادركت من مطالعة الصحف الاوربية منزلة الحرية ومقام الاخباري ولكنني لم اقدر ان استعمل شيئاً من ذلك فكنتُ على حد قول الشاعر

القاهُ في اليمّ مكتوفاً وقال لهُ . اياك اياك ان تبتلّ بالماء

والنكبة الخامسة انني رحلت الى اوربا فزرت ايطاليا وفرنسا واقمتُ في انكلترا نحو عامين اقراء جرائدها واجتمع على رجال الصحافة وارباب السياسة فيها واحضر جلسات البرلمان ومجتمعات الادباء واسمع خطب الخطباء فقويت فيَّ اميالي الى الحرية وزدت تقديراً لمقام هذه الالهة العصرية

والنكبة السادسة والاخيرة انني اضطررت حفظاً لمصالح سواي ان اهجر بلاد الحرية واعود الى بيروت فعدت الى تحرير لسان الحال تحت ضغط المكتوبجي وظلم الحكومة بعد ان ذقت حلاوة الحرية

وسبب جميع هذه المصائب والنكبات هو وجود المراقبة على جرائد تركيا عموماً وجرائد سوريا خصوصاً لان الحكومة العثمانية اختارت وضع مراقبة صارمة على الجرائد فقيدت العقول وارادت من ذلك ان تقتل الافهام كما تقتل الاجسام في هذه الايام مما سيرد تفصيله في هذا الكتاب ليعلم القراء الى اية حالة وصلت حرية الاقلام في بلادالدولة العثمانية و يقيسوا التأخر في هذا الباب على غيره من سائر اسباب التمدن والترقي • وقد اجبت اليوم اقتراح عدد من الادباء الذين سألوني وضع كتاب في اخبار المكتوبجي

علماً بانني جهينة اخباره لانني احتملت مظالمه عدة سنوات وعند جهينة الخبر اليقين

سليم سركيس

مصر القاهرة في ٢٥ افريل سنة ١٨٩٦

اهداء الكتاب

الى جلالة السلطان عبد الحميد الاعظم

مولاي

يسوءني انني من جملة رعاياك لانه يسوءني ان اكون عبداً ۰ وانت عوّدتنا انك تعتبر الرعية في منزلة عبيد لك بدلاً من ان تتبع الحقيقة وهي ان تكون عبداً لنا ۰ ولما كنت لا استطيع التخلص من هذه التابعية فعلى الاقل احاول ان أعلن للناس انني عبدك رغماً عني وهذا كل ما استطيع ان افعله الآن

لكن كما ان الدول المتمدنة قد أُلغت الاسترقاق والنخاسة واعطت العبيد السود حريتهم كذلك قدّر الله العليّ الحكيم ان اخرج من مملكتك وان اقيم في حمى حكومة مصر العادلة ۰ فمن هذا القطر الذي اصبح سعيداً من يوم تقلص ظل نفوذك عليه اعرض لمسامعك الشاهانية ما اشكوه انا ويشكوه سائر رصفائي في تركيا من السياسة الخرقاء التي تبعتها جلالتك ۰ واصرح لك غير خائف ولا وجلٍ بانك في سياستك هذه تسوق بلادك ورعيتك الى خراب عاجل وسقوط سريع

ان ترقيك يامولاي الى عرش اجدادك قد اوجد عدة ضربات اصيبت

بها الدولة العثمانية ومن جملة تلك الضربات قتل العقول الامر الذى تفرّدت فيه عن سواك من السلاطين

انت تدري يامولاي مقدار خوفك على حياتك حتي انك حصنت قصرك وجمعت من حولك الرجال بالسلاح. كل ذلك حرصاً على حياتك وانت فرد من الناس فكم بالحري يليق بنا نحن الامة باسرها ان نحرص ايضاً على عقولنا وان ندافع عنها وهي اشرف ما وهبه لنا الله تعالى

فان كنا لانقوى الان على مقاومتك بالقوة فاننا نحاول مقاومتك بالبرهان. فان لم تصغ اليوم لاصوات عقولنا اضطرك الاهمال يوماً ما الى الاصغاء لصوت جهوري هو صوت الشعب والعياذ بالله من الشعب اذا اتحد واتفق واراد ان يدرك غاية شريفة معلومة فيها خيره فان السلاطين لاتكون امام ذلك البحر الزاخر والتيار القوي الا

كريشة في مهب الريح خافقة لا يستقر لها حال من القلق

فاشفق يا مولاي على نفسك من ذلك اليوم الرهيب

واني ادوّن في هذا الكتاب بعض المساوي الحاصلة وارفعها هدية الى معاليك لعل وصف اعمالك الظالمة وعمالك الادنياء يؤثر عليك اذا تمثل لعينيك في كتاب على حدة سينتشر بين الناس في عدة لغات فاقبله غير مامور والامر والفرمان لولي النعم المؤلف

فائدة من خبير

لا يقرأها الا المصري

ربما يظن بعض اخواني من اهالي مصر ان في ماساورده في هذا الكتاب بعض مبالغة ولذلك فانني انشر هنا رسالة وردت اليّ من حضرة الكاتب الفاضل كليانتس افندي فيليبذس الخبير باحوال الاستانة ومعلوم ان حضرته رافق سمو الخديوي في زيارته الاولى الى الاستانة فاخباره تؤخذ عن ثقة ان شاء الله قال

صديقي محرر المشير الفاضل

اطلعت على ما نشرتموه في جريدتكم الزاهرة عدد ٧٩ بتاريخ ١٨ افريل سنة ٩٦ من انكم قد عقدتم النية على طبع كتاب يتضمن اخبار ضغط الحكومة التركية على جرائدها وسائر مطبوعاتها مخصصين في ذلك اعمال مكتوبجي ولاية بيروت فرأيت من المستطاب ان ابعث اليكم بنبذة تقوم مقام مقدمة لهذا التاليف الجديد عن مراقبة المطبوعات عموماً والجرائد خصوصاً في قاعدة السلطنة التركية رجاء ان تأتي فذلكتي هذه ببعض الفائدة لكثيرين من المصريين خصوصاً وغيرهم من العرب عموماً الذين ما زالوا للآن يعتقدون خلاف الواقع و يكابرون في الضلالة عن تعصب اعمى وجهل اظلم من الليل الحالك فلا يصدقون الحقائق عما هو جارٍ للآن من المظالم وشدة النير الضاغط على رقاب الرعية عموماً والكتبة الاحرار خصوصاً في ايام الحكومة الحاضرة وهم لا يخدعون الا انفسهم

لما زار حضرة صاحب السمو خديوي مصر عباس الثاني المرّة الاولى القسطنطينية سنة ١٨٩٣ وصل اليها نحو الساعة الحاديه عشرة صباحاً من نهار

الاثنين فاعلنت الجرائد الغير التركية التي تصدر بين الساعة الثالثة والرابعة بعد الظهر وصول سموه الى عاصمة بلادالترك ومن هذه الجرائد المهمة جريدة اللوانت هرالد وهي انكليزية النزعة والثانية الاوريانتال ادفرتيزر او المونيتور اوريانتال وسياستها روسية فنشرت هذه الاخيرة جملة افتتاحية من الطف ما يكتب تترحب بالضيف العظيم واثنت فيها ثناءً جميلا يستطاب عند اهل الذوق السليم مبتدئة من رأس العائلة المغفور لهُ محمد علي باشا ذاكرةً اجمالاً اعماله العظيمة واعمال انجاله واحفاده الذين تولوا من بعده الاريكة المصرية منتهية بما كان معروفاً عن اميال وعواطف وذكاء الامير المالك حالاً . وكان لهذه الجملة التي نشرتها المونيتور اوريانتال رنة في افئدة كل الذين طالعوها يومئذ من الاتراك اصحاب الذوق السليم وخصوصاً الاحرار وكذلك عند الافرنج الكثيرين واليونان الذين لا يقل عددهم الا قليلاعن عدد الاتراك في تلك العاصمة . ومعلوم انه لايمكن طبع شيءٍ او نشره هناك قبل ان يمر اولا على اعين اقلام المراقبة وكان في رئاسة مراقبة المطبوعات الافرنجية اذ ذاك عطوفتلو ماجد باشا وهو حفيد المرحوم فؤاد باشا السياسي الشهير فقرأَ الجملة التي نحن في صددها قبل الطبع ولم يخطر على باله ان نشر بعد سطور فيها ترحب وثناء على حضرة صاحب السمو امير مصر وآبائه واجداده الكرام يحرك غيظ السلطان ويستوجب غضبه . فلم يمنع نشرها وهكذا صدرت الجريدة الساعة الثالثة بعد الظهر مصدرة بكلام احلى من الشهد لكل محب لمصر ولسمو خديويها وللعائلة المحمدية العلوية وتناقلتها السن اهل الاستانه وتاقت نفوسهم الى مشاهدة الخديوي الشاب على أَثر ما طالعوه

عن عزة نفسه وعواطفه الشريفة واستعداداته العظيمة واما السلطان فساأه جدًّا ولم تأت الساعة الخامسة حتى اصدر ارادته بعزل ماجد باشا المشلراليه فكدر ذلك العدد العديد من سكان الاستانة الذين عرفوا حضرته وما هو عليه من اللطف والانسانية مع شرف الاصل ولكن لم يعرف الا الافراد اسباب عزله وقد كتم ذلك عن السواد الاعظم من كبار الناس. انتهى

حلوان في مارس سنة ٩٦

ما هو المكتوبجي

ان مكتوبجي ولاية بيروت اليوم هو سعادتلو عبد الله افندي نجيب ولكنه ليس وحده المقصود في هذا الكتاب وانما استعملت اسم المكتوبجي لانه اصبح من الأوضاع العصرية لمراقب الجرائد مع ان المكتوبجي في حقيقة معناه وطبيعته الاصلية لا علاقة له بالجرائد وانما هو سكرتير الوالي ولكل ولاية من الممالك العثمانية مكتوبجي خاص. لكن الحكومة العثمانية اختارت ان تعهد الى مكتوبجي ولاية بيروت امر مراقبة الجرائد فاصبح اسم الرجل معروفاً بمراقبته للجرائد اكثر من كونه كاتم اسرار الولاية.

حرية الجرائد

(وكيف بدأت المراقبة)

كانت سوريا اقدم مكان ظهرت فيه الجرائد السياسية والعلمية في المملكة العثمانية ولا تزال حتى الآن كثيرة فيها تزيد على امثالها من الولايات

بكثير من الجرائد . وقد كانت الحرية مطلقة لجرائد بيروت من اول نشأتها لا مراقبة عليها ولا سيطرة يلجاء اليها المظلوم ويخافها الظالم حتى لقد بلغ من الجنة والجنان للمرحوم المعلم بطرس البستاني ومن لسان الحال في اوائل نشأته انها كانت تكتب بحرية لا تقل عن الحرية التي نتمتع بها الآن في مصر . وكانت مصر تلجاء الى سوريا وتنشر على صفحات جرائدها شكوى اهاليها كما يتضح للقاري من مراجعة ما كتبه المرحوم اديب اسحق في جريدته الباريزية اذ نقل عن المصباح الذي يصدر في بيروت رسالة ملؤها حرية . ودامت جرائد سوريا على هذه الحالة من الراحة والهناء والتمتع باحسن مزايا الاخباري الى ان رأت الحكومه العثمانية ضعفها هي وتقدم الشعب السوري وكثرة جرائده وميله الى المطالبة بحقوقه على صفحاتها . ومعلوم ان للحكومة العثمانية قوانين معلومة منشورة في الدستور الهمايوني وفي جملتها قانون المطبوعات الذي يجب ان تجري عليه الجرائد وفيه تحديد الحرية المعتدلة التي هي ملاك السعادة والعقاب الذي ينال من يخالف ذلك القانون شان سائر الحكومات المتمدنة . وكانت الجرائد خاضعة لذلك القانون تبدي افكارها بحرية تامة متجنبة كل ما يكدر الحكومة . حتى اذا كان عام ١٨٧٧ جعل سعادتلو خليل افندي الخوري صاحب جريدة حديقة الاخبار مديراً لمطبوعات سوريا فاذا نشرت احدى الجرائد ما تظن الحكومة انه غير مناسب ارسل المدير تذكرة تسمى اخطاراً وهذه نصها

الى صاحب امتياز الجريدة الفلانية

من حيث ان جريدتكم قد نشرت في عدد كذا مقالة مخالفة للرضى العالي فقد اوجبت (تخديش الاذهان) فاقتضى اخطاركم انكم اذا عدتم الى مثل ذلك تجري في حقكم المعاملات القانونية

وكانت المعاملة في ذلك الحين ان الجريدة التي تخطر ثلاثا على هذه الكيفية يصدر الامر بتعطيلها لمدة معينة ثم في سنة ١٨٨٥ توفي والي بيروت في ذلك الحين وبعد ايام وردت الاخبار التلغرافيه ان قد عين دولتلو رائف باشا وزير النافعة واليا على بيروت وكنت اذ ذاك احرّر جريدة لسان الحال وكنا نعلم ان رائف باشا المشار اليه من اعظم رجال الدولة العثمانية استقامة فعزمت الادارة على الاحتفال باستقباله احتفالا خصوصيا وهيأَت لذلك الغرض مقالة لم ينسج على منوالها من قبل وتقرر نشرها يوم وصول دولة الوالي واستعملت ادارة لسان الحال الحرية التامة المعتدلة في بيان المساوي الحاصلة في حكومة سوريا واذا توفقت للحصول على نسخة تلك المقالة انشرها في مكان آخر . وفي الوقت الذي كنا ننتظر فيه قدوم رائف باشا وقد وصلت عائلته الى بيروت صدرت ارادة سنية تلغي ذلك التعيين وعهدت بالولاية الى رؤوف باشا متصرف القدس الشريف . اما لسان الحال فابقى مقالته الاولى على حالها ونشرها يوم وصول الوالي فاهتزت لها المدينة وسائر الجهات التي وصلت اليها ولم تمضِ بضعة ايام حتى اقامت محكمة استئناف بيروت الدعوى على لسان الحال فحكمت المحكمة الابتدائية ببراءته وقد حضر الجلسة الوف من الناس وصفقوا ودعوا بالنصر للسلطان عند صدور البراءة ولم تمضِ ٣ ايام على هذا الحكم العادل حتى ورد تلغراف من الاستانة يقضي بتعطيل لسان الحال الى مدة غير معلومة . وبعد مضي ستة اشهر عفي عن الجريدة . وفي ذات يوم استدعي جميع اصحاب الجرائد الى سراي الحكومة في غرفة عزتلو ميشال افندي

ادّه ترجمان الولاية فانبأنا اذ ذاك ان الحكومة قد قررت ان لاتصدر نسخة من جرائد بيروت الا بعد ان ترسل مسودتها قبل الطبع الى ميشال افندي لمراقبتها . وهكذا بدأت المراقبة التي نحن بصددها . وقد كانت في اول الامر مراقبة خفيفة ليس فيها شيء من العنف حتى اذا ضجر ميشال افندي من مطالعة الجرائد وخشي المسئولية انتقلت السيطرة الى مكتوبجي الولاية وكان يومئذ المسمى جمال بك وهو تركي لا يعرف كلمة من اللغة العربية ثم فصل وخلفه جابي زاده سعادتلو حسن فائز افندي من اهالي دمشق ومن اخصاء مدحت باشا فشدد على الجرائد حتى كادت تزهق ارواحها ثم آل الامر الى ان تعين سعادتلو عبد الله افندي نجيب المكتوبجي الحالي وهو الذى سأورد من اعماله الغرائب والعجائب

ذهابي الى انكلترا

لما يئست من تحسين الاحوال في بيروت ولم استطع احتمال ضغط المكتوبجي حسن فائز افندي تركت تحرير لسان الحال وقصدت انكلترا حيث اقمت نحو سنتين ومن هناك كتبت الى المكتوبجي اخبره بوصولي واسأله الرفق برسائلي التي كنت اكتبها من هناك الى لسان الحال فكتب اليّ الجواب الاتي

حضرة الاديب الكامل

وصلني كتابك المبشر ببلوغك المحل المقصود سالماً فسررت لذلك وشكرت حسن ودادك اما رسائلكم للسان فهي عميمة الفائدة ولا تحتاج حذف شيء اذا حرّرت عند سكون البحر الذي هاج فرحاً لاستقبالكم . اتمنى لك النجاح والتوفيق مؤكداً مودتي

واخلاصي للسليم

٢ ك ١ سنة ١٣٠٨ حسن فائز

وكنت قبل مزايلتي بيروت اذهب في اكثر الليالي لزيارة المكتوبجي في بيته فذكرت له يوماً ما انني اذا تمكنت من مزايلة بيروت والوصول الى بلاد حرية يكون اول همي نشر جريدة حرة · قال انا نمنعها عن الدخول ونستعمل كل واسطة لمنعك عن كتابتها · ولما فارقت بيروت فجأة كتبت جريدة المصباح انني ذهبت الى لندن لانشاء جريدة عربية هناك · الامر الذى لم يكن يومئذ في خاطري · واول ما رأيته في جريدة المصباح التي وصلتني وأنا في لندن فلم اهتم بتكذيب الخبر لانني لم اعلم ان تلك الاشاعة تكون سببا لاهتزاز رجال الدولة من اكبرهم الى اصغرهم اما أنا فلما وصلت الى مينا تلبوري اخذت دليل لندن وعلمت منه عنوان قنصلية الدولة العثمانية فكتبت رسالة باللغة العربية الى حضرة القنصل الجنرال أخبره فيها عن وصولي الى انكلترا واني بصفة كوني من رعايا الدولة احب ان اجري ما يقتضيه الواجب لتعرف قنصلية دولتي وتعطيني الحماية اللازمة فورد اليّ في صباح اليوم التالي رسالة لطيفة من القنصلية مكتوبة باللغة العربية وامضاها «امين» فلم اعرف من هو امين هذا وحسبت انه من رجال الاتراك الذين يكتفون بتوقيع اسمهم الاول كأن السموات والارض تعرف من هم · ومضت على ذلك مدة طويلة ذهبت في غضونها الى لندن ثم زرت نحو ثلاثين مدينة في انكلترا وكنت اتردد على لندن كل اسبوع ولم اتمكن من زيارة القنصل ولم أرَ ما يستوجب زيارته بدون شغل خاص لعلمي ان المشغول لا يشغل وبعد

ان مضى عليَّ نحو سنة في انكلترا كنت ذات يوم في لندن اسير من جهة « كانون ستريت » فذكرت انني على مقربة من القنصلية وقلت لا بأس أَن أزور القنصل وأَتعرف عليه ولا شيءَ يشغلني الآن . فصعدت سلمًا ودخلت الى باب عليه اسم القنصلية فطرقت الباب ودخلت الى غرفة واسعة ليس فيها الا طاولة صغيرة جلس اليها شاب لطيف ورأَيت امامي بابا يؤَدي الى غرفة داخلية وقد وقف فيه رجل لا أَعرفه فتقدم اليَّ الشاب وقال ماذا تريد . قلت أَن أَرى حضرة القنصل واعطيته تذكرة زيارتي فاخذها وقدمها للرجل الواقف في باب الغرفة الثانية فاخذها هذا ونظر فيها بامعان مدة دقيقة ثم صعد الدم الى وجهه وقدحت عينه النار واخذ يرتجف ثم رمى بالتذكرة الى الارض مغضباً وقال باللغة العربية العامية « فوت » أَي أُدخل

قلت ومن انت . قال بغضب اعظم « انا القنصل » قلت . اظنني مخطئًا فقنصل دولتي لا يعاملني هذه المعاملة . فاندفع بالشتيمة والتهديد وصاح بي قائلا = « انكم تخرجون من بلادكم ولا تذكرون ان لكم دولة او حكومة وانت قد اقلقت رأْسي واتعبتني كثيرًا وصيرتني في مركز حرج أَخاف منه على منصبي فكانك تريد مزاحمتي على المنصب » الى غير ذلك من الكلام المهين . وانا لا افهم معناه بل انتظر ريثما ينتهي من الشتيمة فاخرج واذا بعزتلو يوسف افندي الياس مهندس لبنان سابقًا وصاحب امتياز سكة حديد حيفا قد دخل فسلم عليَّ وصافحني وانعطف عليَّ بمزيد الشوق و التودد ثم قال ادخل لنجلس مع امين افندي برهة « يريد القنصل » قلت لست

بفاعل فان الرجل اهانني كثيراً وانا غير محتاج اليه ولا زيارته واجبة عليّ قال القنصل بلطف « تفضل ياسيدي » على اثر ما رأى من اكرام صديقه يوسف افندي لي قلت الآن ادخل اذ لي معك كلام لكنني لا افعل حتي ترفع تذكرتي عن الارض اذ لا آمن ان تحصل لي الاهانة نفسها . ففعل ودخلت . فلما جلست قلت ماذا اصابك ياهذا حتى عاملتني هذه المعاملة وأية علاقة لي معك وباشغالك ومركزك مع انك لا تعرفني ولا اعرفك قال انت لا تعلم السبب فمنذ زايلتَ بيروت ما برحت ترد اليّ الاوامر من الاستانة بالتفتيش عليك ومراقبتك وأنا لا اعرف مكانك والاوامر من هناك ترد بتشديد ولا سبيل الى ادراكك قلتُ انما كان ذلك لانني كنت أَتجول في المملكة منزها الطرف في محاسنها لكن ما الذي الجأ الاستانة الى هذا . قال اسمع . واخرج عدة كتب بعضها من وزارة الداخلية وغيرها من غيرها و بعضها من حسن فائز افندي مكتوبي ولاية بيروت مآلها ان سليم افندي سركيس من نبهاء بيروت واحد كتابها البارعين سافر الى لندن والشائع انه ينوي اصدار جريدة عربية في لندن ولما كان لم يعرض ذلك على الباب العالي ولما كان مثل هذه المشروعات الكتابية مضراً بصوالح السلطنة اقتضى اصدار الامر اليكم مشدداً بوجوب مراقبة حركات سليم المذكور وسكناته ورفع التقارير المتواصلة عن الخطب التي يلقيها والجمعيات التي يتردد عليها والجرائد التي يكتب فيها وترسل تلك المقالات الى الباب العالي الى آخره ...) فاضحكني اهتمام الدولة بهذه الامور وقلت للقنصل ماذا تريد مني الآن قال تذهب معي الى رستم باشا السفير

قلت لا أفعل . قال اذاً لا تخرج من هنا الآ معي الى السفارة قلت انت ترتكب اعظم خطاء فلا سلطة لك عليّ وكلمة واحدة الفظها من هذه النافذة تجعلك تحت سلطة اول بوليس انكليزي . أنسيت اننا في لندن ام الحرية قال لماذا لا تذهب لزيارة السفير قلت يظهر لي من معاملتك ان الدولة ملأت دماغك بالخوف مني فاذا كانت هذه معاملتك لي فكيف تكون معاملة السفير وانا لا احب ان اقابل دولته لئلا تحصل لي الاهانة التي حصلت هنا وفضلا عن ذلك فان الباب العالي انما امرك ان ترسل اليه التقارير عن تصرفاتي لا ان تقبض عليّ قال ومن لي بتلك التقارير قلت اسمح لي بساعة اعود بعدها بمادة كافية لتقريرك قال انك اذا خرجت تكون أفلت من جرادة العيار قلت لدي هذه التحارير وأخرجت تحارير من اصحاب جرائد الستاندرد والدايلي تلغراف ومن المستر ت . ب اوكونر صاحب جريدة الشمس وعضو ليفربول في البارلمانت ومن الآنسة بريستلي احدى محررات الصحف ومن المستر استيد صاحب مجلة المجلات حالا ومحرر البال مال غازيت سابقاً فقرأها جميعاً وفهم منها ان تلك الجرائد كانت تطلب مني مقالات عن تركيا وانا لا اجيب طلبها فاخذ من التحارير بعض العبارات ليبني عليها تقريره وانصرفت من عنده واقسمت ان لا ازور قناصل الدولة في كل بلاد ازورها . وانا أوكد اليوم ان تلك الاوامر صدرت من سخافة عقول بعض رجال المابين الذين خافوا من نشر سيآتهم بين الافرنج .

وفي اواسط تشرين الثاني سنة ١٨٩٣ بعد ان قضيت نحو ستة

ونصف سنة في انكلترا عقدت النية على عدم الرجوع الى سوريا فقررت اصدار جريدة حرة بالاتفاق مع جون هزلمون مديرها الانكليزي ونشرت اعلانا وزعته على جميع البلدان العربية وخصوصاً سوريا وجهاتها وهذه صورته عن النسخة المطبوعة

رجع الصدى

جريدة سياسية اصلاحية اسبوعية من لندن تقبل جميع المقالات والرسائل بدون توقيع اصحابها

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين : سورة الاعراف

قفوا على الطرُق واسالوا عن السبل القويمة اين هو الطريق الصالح وسيروا فيه ارميا ٦ : ١٦

هذه الحقيقة المحزنة : ان الدولة العثمانية في خطر .... وللتخلص من هذه الشدائد يجب على جلالتكم ان تتناسوا العالم الماضي وتقتادوا الامة الى مقاصد جليلة جديدة ..

(من رسالة فوآد باشا عند موته الى السلطان العثماني)

﴿ رجع الصدى ﴾

طالما ارتفع من انحاء الشرق صراخ طبق جوانب الارض صداه فلا غرو ان يرُدّد رجع الصدى . صراخ الامة في اطراف المعمور . نداء الشعب يكتب بحروف من نار على جبين الدهور . اصوات متقطعة . افئدة منفطرة . تعرب عن قلوب منتظرة . فالى متى تصم الاذان . وقد ثبت من الصوت وجود اللسان . ومن حرقة البيان وجود الجنان . ومن حركة الخواطر ان في السويداء رجالا : لكن حبست الالسن الشرقية عن النطق بمحاسن الحرية ... استغفر الله من زلة القلم فلم يحبس لسان الشرق عن الكلام . وان حبس القلم عن تصويب السهام . ان لسان الشرقي يلهج أبد الحياة ومنذ نشأ متحركا بعاطفة لم يجرأ القلم في الشرق ان يرقمها على القرطاس .

وانما كلمات اللسان تدرك دائرة واسعة يضيع الصوت في مداها. فالجرائد اذاً أحسن ترجمان يأتي بالمراد من الكلام سحرًا حلالا . اجل : حبست الاقلام فاستوثقت في دزع النكد الطالع قد جمد . واقتصر الكلام على أحب وهام احاديث ما انزل الله بها من سلطان . وقضي على الرأي العام فصار حياً في جسد ميت . وماتت الصحف في الشرق قبل ان تحيا ولعلها ماتت لتحيا كما نحيا لنموت . لكن سبب هذه الميتة خوف في قلوب (الهيئة المحكومة) ألقته تخاوف (الهيئة الحاكمة) بخائف من خائف ويا لله من هذا المصير . من ثم كان لصراخ الشرق وان همساً صدى رددته جوانب الارض وهذا رجع صداه ـ خدمة للامة بعثناه وترجمان افكار اقمناه فان لم يفعل الخير عاجلاً بقيت اثاره حتى اذا جاء عهد الشرق في تقدم ونجاح قلنا ياقومنا اقطفوا من سعي اخوانكم ثمرًا جنياً واعتبروه على الاخلاص برهاناً سنياً فالغاية ان يقضي فرضاً مأتياً ـ وحتى لايقال ان هذا رجع صدى صوت شرقي فرد وحتى يزول الخوف الذي القته الهيئة الحاكمة في قلوب الهيئة المحكومة وحتى يصح ان هذا هو الرأي العام وحتى لا يعذر المتقاعد عن خدمة وطنه وحتى لا تقف الاغراض الذاتية في سبيل المنفعة العمومية يقبل رجع الصدى كل رسالة في موضوع الجريدة بقطع النظر عن اسم مرسلها اي بدون التواقيع بل نتحمل كل مسؤولية ويكون رجع الصدى صلة بين الامم الشرقية والحكام فليكتب الكتبة افكارهم من وراء الحجاب الى ان تمزق حواشيه او نلاشيه ان شاء الله . وننشر ونقبل كل افادة صريحة عن تقدم الغرب ونسبة الشرق اليه وافكار الشرقي في شرقه وبيان علة التأخر وعلاجها وتحريض الامم على الاتحاد : اننا لانقصد تخصيص الجريدة لمملكة شرقية دون الاخرى فالعثمانية والفارسية والدولة العربية جميعها تجد في رجع الصدى ما يهمّ . وهذه الجريدة لا تريد الطعن ولا تقصد المضرّة ولا تبدأ بالعداء فتصل الى المشتركين في البريد عادة الجرائد فاذا اوقفها الخوف وحال دون وصولها الظن استنجدت بعدات نشأتها واستعانت بما هو مخزون في راسمالها ووضعت في مقدمتها مجموع قوتها فلا تقف الموانع في طريقها انتهى

وفي الوقت المعين اصدرت العدد الاول من الجريدة وما كدت انتهي من كتابة عنوانات اعدادها حتى حضر الى لندن عمي صاحب لسان الحال

عائدا من اميركا فعدت واياه الى بيروت حيث اصدر جريدته يوميا فحررتها مدة نصف سنة الى ان ظهرت حادثة الاميرة نجلا ولاح لي من دناءة حكام بلادي وجورهم ما ضاق معه صدري مما سأذكره عند تعريب رواية الاميرة التي اجاز لي تعريبها عن الانكليزية موءلفها المستر فليرتون معاون المستر بلويتز مكاتب التيمس الباريزي فرحلت مع صديقي الكريم الامير امين ارسلان الى باريز حيث اصدرنا جريدة كشف النقاب وبعد مدة رأيت ان للصديق المشار اليه مقدرة كافية وحده على اصدار الجريدة وان من الصواب نشر مبادي الحرية في جهتين فاتيت الاسكندرية واصدرت جريدة المشير التي فازت بالنجاح العظيم بعناية حضرات الافاضل وقد طرأ عليَّ من الحوادث العظيمة والاحكام الجائرة والتهديد بالقتل ما سأعود الى ذكره عند الكلام عن المشير

كيف تراقب الجرائد

بعد ان يكتب محرر الجريدة العثمانية مقالات جريدته وترتب حروفها وتصلح اغلاطها حتى تصير جاهزة للطبع والتوزيع تبعث الادارة بنسختين منها الى المكتوبجي وعلى المطبعة والمحرر والعملة ان ينتظروا رجوع المسودّة المذكورة قبل ان يبدأوا بالطبع . وترسل المسودة عادة الساعة العاشرة افرنجية صباحاً وقد تبقى عند المكتوبجي الى الساعة الثالثة او الرابعة بعد الظهر والتعطيل شامل الادارة والمطبعة والعملة والمحرر

فعند ما تصل المسودة الى سراي الحكومة ياخذها العسكري الملازم في

خدمة سعادته من صبي الادارة ويضعها على طاولة مولاه و يبقى الغلام في انتظاره الى ان يرحم ويشفق وعند ذلك يتنازل فيرسل المسودة المذكورة الى احد خلفاء قلم المكتوبجي المسمى عبد الرحمن افندي الحوت ليطالعها قبله وذلك لان المكتوبجي الحالي عبد الله نجيب يعرف من اللغة العربية قدر ما اعرف انا من لغة ادم .

عبد الرحمن الحوت .

اما عبد الرحمن افندي الحوت هذا فهو حوت في الحقيقة تصل اليه المسودة فيقرأها ولما كان يعلم حق العلم ان مراقبة الجرائد لا يقصد منها الا الاستبداد وان لاقانون لها يجري بموجبه اصبح المسكين يخاف من المسئولية فهو اذا رأى غير شيء ظنه رجلا وهكذا يبداء بقراءة المسودة فاذا رأي عبارة يعرف انها لاترضي المكتوبجي حذفها بحبر اسود ثم تعرض لهُ احياناً بعض عبارات لا يدري اذا كان يجب عليه حذفها ام لا فيقع في حيص بيص اخيراً يضع علامة مستطيلة بحبر احمر على جانب السطور التي تتضمن تلك العبارة التي اشكل عليه امرها وهكذا فمتى انتهى من مطالعة مسودة الجريدة تكون قد صارت ذات خطوط سوداء وعلامات حمراء لاتحصى فيكتب في ذيلها . تقدَّم

عبد الرحمن

اي يجب ان تقدم الى المكتوبجي ويضع توقيعه . وفي وسع عبد الرحمن افندي المذكور ان يضيق اعظم تضييق على اصحاب الجرائد

لان المكتوبجي لا يضع توقيعه على المسودة الا بعد ان يقرأها حوت افندي فلو اراد حوت افندي ان يقضي في قرأة المسودة ١٠ ساعات فليس من مانع ولذلك قرر اصحاب الجرائد ان تعطيه كل جريدة مبلغاً من المال استرضاءً له ليعجل في قراءة جرائدهم · وبعض الجرائد تدفع له ذلك المال تحت ستار المصانعة اي انها تكلفه بترجمة بعض اخبار عن جرائد الاستانة التركية مع ركاكة الترجمة وعدم تحصيل المعاني ثم تدفع له المال كانه اجرة ترجمة وليس بصفة رشوة

عودٌ الى الموضوع

وبعد ان يكتب حوت افندي في ذيل المسودة «تقدَّم» يأخذه خادم الادارة الى غرفة المكتوبجي الذي يكتفي اكثر الاحيان بان ينظر الى المسودة ولما كان لا يعرف اللغة العربية فهو يرى الخطوط الحمراء الى جانب بعض العبارات فلا يكلف نفسه الى طلب ترجمتها او الاستفهام عنها بل يقول في نفسه لو لم يكن هنا محل ريبة وكلام سياسي لا حق للجرائد باستعماله لما ارتاب فيها حوت افندي ولما كان لا يهمه تعب المحرر او راحة القراء يأخذ قلمه ويضرب به على كل عبارة عليها اشارة حمراء وهكذا فبعد ان يكون مراد حوت افندي الاستفهام تصبح تلك العلامة اشارة لحذف المقالة وبعد ان يفعل ذلك يكون قد حذف من المسودة ١٠ اعمدة واحيانا خمسة فيكتب في ذيل النسخة الواحدة من المسودتين

كور لمشدر

عبد الله

وهي كلمة الاجازة للادارة التي بدونها لايمكن طبع الجريدة

ولا يظن القاري ان رحلة المسودة قد انتهت الآن فانها بعد ان يوقع عليها المكتوبجي تعاد الى حوت افندي ليحذف كل ما حذف في المسودة الثانية تماماً وتعاد الواحدة الى الادارة وتبقى الثانية عند المكتوبجي . فتصل النسخة بالحذف الذي فيها الى محرر الجريدة المسكين فتضطر الادارة الى حل الحروف ويحذف العملة ما حذفه المكتوبجي ويضعون محله مقالات اخرى ويرسلون المسودة ثانية الى المكتوبجي ليراقب العبارات والمقالات التي زادها المحرر بدلاً من المقالات المحذوفة فيجري ماجري اولاً وهكذا الى ان يسمح الله بالخلاص فتطبع الجريدة ويرسل اول عدد يصدر منها مع مخصوص الى المكتوبجي فيقابله على نسخة المسودة الثانية التي حفظها عنده ليرى اذا كانت الادارة قد حذفت كل شيء حذفه ثم ترسل ٣ اعداد من الجريدة وفي ذيلها امضا صاحب الامتياز بخط يده تحت توقيعه المطبوع .هذه ترسل الى قلم المكتوبجي لتحفظ هناك وترسل الى الاستانة حيث يراقبها اعضاء انجمن المعارف . والغريب ان مراقبة المكتوبجي وضغطه العنيف ومنعه كل ما لا يرضاه عن الظهور في الجرائد لا يحميها من التعطيل بل اذا رأى بعد طبع الجريدة عبارة لم يكن قد انتبه اليها قبلا امر بتعطيل الجريدة او لو رأت الاستانة مقالة لم ترض عنها امرت بتعطيلها ايضاً

برهاني على صدق ما اقول

سأبدأ الآن بنشر غرائب المكتوبجي واريد ان اوكد لحضرات قراء كتابي انني صادق في كل كلمة اقولها عن المراقبة اولاً. لانني حضرت المراقبة من اول نشأتها. ثانياً لانني كنت بنفسي احتمل تلك المراقبة فانا اروي ما عرفته بذاتي لا ما سمعته من غيري. ثالثاً استشهد على صحة كلامي بالبراهين القاطعة التي اعزز بها اخباري فانني اجرّب ان لا اذكر حادثة الاّ وفيها اسماء الجرائد التي جرت لها تلك الحادثة واسماء الاشخاص الحقيقية فان وجد فيمن سأورد اسماءهم من يقدر ان يقول انني مخطىء او انني اروي غير الحقيقة فانا مستعد لنشر اعتراضه في جريدة المشير وتاكيداً لقولي هذا فاذا اعترض عليَّ معترض ولم انشر اعتراضه فلهُ ملء الحرية ان ينشره في اية جريدة اراد • رابعاً سيأتي وقت يخرج بعض اخواني الذين حرروا جرائد سوريا من بلاد الظلم واذ ذاك فهم يؤيدون اقوالي لانهم الآن ليس في وسعهم تاييدها • خامساً سأنشر في ذيل هذا الكتاب صورة مأخوذة بالزينكوكراف اي التصوير عن اصل مسودة من مسودات جرائد بيروت في وقت رجوعها من عند المكتوبجي مع الحذف الذي فيها فلا يبقى مجال للريب في صحة كلامي

١ — خارطة الممالك المحروسة

ان المطبعة الاميركانية الخاصة بحضرات المرسلين الاميركان رسمت خارطة لتدريس طلبة العلم في المدارس فبلغ امرها المكتوبجي (الطيب الذكر)

واستدعى مدير المطبعة اسعد افندي واكد وجرت بينهما المحاورة الآتية

مكتوبجي — هذه الخارطة ذات الوانٍ مختلفة فلماذا فعلتم ذلك ولم تجعلوها ذات لون احد

مدير المطبعة — انما فعلنا ذلك بمقتضى قاعدة رسم الخارطات وجعلنا كل مملكة ذات لون يختلف عن لون المملكة الاخرى تسهيلاً للتلامذة ليتمكنوا من تمييز البلاد الواحدة من البلاد الاخرى

مكتوبجي — ما بالكم اذاً رسمتم المملكة العثمانية بلون ابيض ومصر بلون احمر

المدير — ذلك ليسهل على الطلبة تمييز الحدود عند تحديد البلدان

المكتوبجي — بل هي خيانة منكم كانكم تعتبرون مصر خارجة عن المملكة العثمانية وانها مملكة مستقلة • فانكر المدير تلك التهمة الاّ ان المكتوبجي أَبى تصديقه وامر بضبط الخارطات جميعها فاضطرَّت المطبعة الاميركانية الى طبع الخارطة مرة ثانية وجعلت كل ما كان لتركيا من اول وجودها حتى الآن بلون واحد

٢ — حرمتلو المسيو لوار

ذكرت جرائد بيروت اسم حضرة الموسيو لوار الفرنساوي مدير البنك العثماني في بيروت فأَمر المكتوبجي ان يلقبوا المدير بلقب « حرمتلو » ولا ادري ما القصد من ذلك

٣ — سعادة محمد علي باشا

كلما اوردت جرائد بيروت اسم البرنس محمد علي باشا شقيق سمو

الامير الاعظم خديوي مصر فهي مضطرة بامر المكتوبجي ان تكتبه هكذا « حضرة سعادتلو محمد علي باشا » وقد روى ذلك الاتحاد المصري قائلاً ان جرائد بيروت تنزل اعضاء الاسرة الخديوية منزلة لاتليق بمقامها. ولكن اي ذنب لجرائد بيروت والمكتوبجي هو الآمر الناهي

٤ ـ مصطفى بك ارسلان

قلت في عدد ٢١ من المشير انني زرت سعادة الامير مصطفى ارسلان قائمقام قضاء الشوف لما رجع من الاستانة فقال لي « لما وصلت الى الاستانة لم اكتب على تذكرة زيارتي «الامير مصطفى ارسلان » بل اجبروني على كتابة اسمي هكذا « مصطفى بك ارسلان » قلت وما اعتراضهم على لقب الامارة قال « انهم لسخافة عقولهم يظنون الامارة مخصوصة بامير المومنين مع ان لقب الامارة عندي اقدم منه في السلطنة العثمانية »

٥ ـ الحجر على « كتاب حافظ السلام »

لما توفي المغفور له قيصر روسيا ألَّف حضرة الاديب نسيم افندي نوفل كتاباً في ذكر مناقبه سماه « حافظ السلام » وارسل منه بعض نسخ الى بيروت فصدر الامر بالحجر عليه وعدم تسليمه لاصحابه لان فيه العبارة الآتية « جلالة الامبراطور نقولا الثاني قيصر روسيا الاعظم وجلالة الامبراطورة المعظمة » واعتراضهم على ذلك ان لقب « الجلالة » لا يجب ان يستعمل الا للسلطان عبد الحميد

٦ ـ عبده افندي الحمولي

خطرت لي الآن حادثة جرت في الاستانة ليس لها علاقة مع المكتوبجي

الا من حيث انها تبرهن على صحة ما ارويه . فقد نشرت في عد ٣٧ من المشير ما يأتي « لما ذهب حضرة المطرب الشهير عبده افندي الحمولي الى الاستانة بمعية سمو الخديوي رغب السلطان ان يسمع صوته الرخيم وقبل الوقت المعين لتشرفه بالحضرة السلطانية جاءه احد رجال المابين وامره ان يكتب على ورقة ما يريد ان ينشده من الادوار ففعل وكتب الابيات الآتية او ما يقابلها في المعنى

غاب عن عيني مرادي　　وانهمل دمعي صبيب
عزّ من يشفي فؤادي　　عند ما غاب الحبيب

والدور الآخر

خلعتُ عذاري في هواك ومن يكن
خليع عذارٍ في الهوى سرّهُ نجوى .

وكتب ايضاً

العذول اصل انتباهي　　بالشمـول
يا الهي انت جاهي　　في العذول

فلما حضر السلطان اعادوا الى عبده افندي الادوار المذكورة وقد حذفوا من الاول لفظة « مرادي » واستبدلوها « بحبيبي » ومن الدور الثاني « خلعت » « وخليع » فيقرأ البيت هكذا

تركت عذاري في هواك ومن يكن
بدون عذارٍ في الهوى سرّهُ نجوى

وحذفوا من الثالث كلمة (عذول) الواردة في صدر البيت الاول

وفي قافية البيت الثاني واستبدلوها بكلمة الرقيب · لان مرادي تشير الى اسم السلطان مراد · وخلعت وخليع تشيران الى معنى خلع الملوك واما العذول فانهم فهموا انها مشتقة من عزلَ يعزلُ

٧ ــ نسيب اللورد كرومر

ذكرت جرائد بيروت وصول حضرة اللورد نوثبروك اليها وقالت (انه نسيب حضرة اللورد كرومر وان حضرته قدمه الى سمو الخديوي) فحذف المكتوبجي قولهم انه نسيب حضرة اللورد وانه قدمه الى سمو الامير

٨ ــ احتلال الانكليز ونيل المراد

في ساعة رضى امر والي بيروت بتعيين الامير سعيد ارسلان لمراقبة الصحف مع المكتوبجي الذي يجهل اللغة العربية وكان تعيينه لمدة قصيرة ففي ذات يوم استدعى المكتوبجي الامير الى غرفته وقد اتقدت نار الغضب والشراسة في عينيه فقال له · ــ اتجهل ايها الامير اني لا ازال المسئول من الدولة عن الجرائد وإن عهد امرها اليك فلماذا تسمح لها ان تحرر ما يمس صوالح الدولة· قال الامير « ما الذي نشرته اليوم فقد قرأت مسودتها ولم أُبقِ ما يوجب اللوم » فازداد المكتوبجي غضباً واخذ نسخة من جريدة البشير الكاثوليكية وقال للامير انظر هذه العبارة (نيل المراد) في رسالة لمكاتب الجريدة المصري فان قصد المحرر من (نيل) نهر النيل في مصر وما ادراك ما هي الغاية من مصر والنيل مع وجود الانكليز في القطر المصري· واما هذه اللفظة (واشار الى « مراد » باصبعه)

فلا اقوى على لفظها بفمي اذ يرتجف قلبي ٠ ولا شك ان المحرر يريد غاية سياسية خفية من الجمع بين النيل ومراد ٠ فحاول الامير ان يفهم الرجل معنى (نَيل المراد) اي ادراك القصد ولكنه حذف المقالة باسرها فراجع مدير البشير حضرة الوالي الذي امر بارجاع المقالة معتذراً عن المكتوبجي بجهله لغة البلاد

٩ ــ الامبراطور محمد علي الطرابلسي

تعين هذا الامبراطور الجديد بارادة سامية من حضرة سعادتلو عبد الله افندي نجيب مكتوبجي ولاية بيروت واليك البيان نقلاً عن عدد ٣٦ من المشير ٠ كتب اليَّ من بيروت مع البريد الاخير ان جريدة المصباح نشرت الاعلان الآتي

« ان قطعة الارض المشتملة على بيت مؤلف من ٤ اوض ومطبخ ودار ملك محمد علي الطرابلسي معدة للاجرة وعلى الراغبين مخابرة صاحبها

وارسلت مسودة الجريدة الى المكتوبجي فلما قرأ الاعلان استشاط غيظاً وحذف لفظة (ملك) فسأله الامير سعيد ارسلان وكيل المراقبة عن سبب ذلك قال (لا ملك الا الذات الشاهانية) وعبثاً حاول الامير اقناعه بغلطه وبعد ان قدح زناد الفكر طويلا قال قد وجدت طريقة اوفق وذلك ان استبدل لفظة (ملك) بلفظة (امبراطور) وهكذا فعل واعيدت المسودة الى ادارة المصباح وقد صار الاعلان هكذا

ان دار الامبراطور محمد علي الطرابلسي معدة للاجرة

فاسرع مدير المصباح الى والي بيروت واطلعه على المسودة فضحك

كثيراً قدر ما بكى المحرر على بنات افكارهِ الذاهبة ضحية جهل المكتوبجي وعنفهُ على جهله

١٠ ــ محمد افندي سلطا ــ ني

كتبت جرائد بيروت ان احمد افندي سلطاني زايل الثغر لزيارة شقيقه محمد افندي سلطاني المقيم في الاستانة فحذف المراقب النون والياء من سلطاني وهكذا بقي الاسم (محمد افندي سلطا) لان السلطان لا يكون الاَّ لعبد الحميد . وفي حادثة اخرى حذف لقب سلطاني باسره واستبدله بمخزومي لان عائلة سلطاني لها لقب المخزومي . وقد فعل مثل ذلك رامز بك قاضي بيروت لما عرضت عليه حجة شرعية باسم احد افراد عائلة سلطاني فحذف النون والياء ولا تزال تلك الحجة بين اوراق محكمة بيروت الشرعية

١١ ــ منع الحداد على الموتى

وجد المكتوبجي ذات يوم انه ليس في المسودة التي قدمتها لهُ ما يليق حذفه ولكن ابى الاَّ ان يحذف شيئًا اتباعاً لقول الشاعر

اذا كنت لا تنفع فضرَّ فانما   يراد الفتى كيما يضر وينفع

فرأى في الجريدة ذكرت موت احد الاهالي وعلى المقالة خط اسود فحذفه زاعما ان ذلك الخط الاسود يشوّه وجه الجريدة شوّه الله وجهه كما لا يزال يشوّه بجهله وجه الادب

١٢ ــ لم يمت كارنو

بعد ان صدر لسان الحال يوميا بايام قليلة جاءتنا رسالة برقية . من صديق باريزي تنبيء بمقتل الموسيو كارنو رئيس جمهورية في ليون

من خنجر كازاريو الشقي فنشرت التلغراف الا ان المكتوبجي حذف خبر قتله وامرنا ان نقتصر على ذكر موته بقولنا (انتقل الى رحمة ربه) لان ذكر قتل الملوك يخيف الاتراك لانه يخيف سلطانهم فاضطررت الى ان افعل ذلك مكرهاً

١٣ — البويجية دعاة الجمهورية

وارسلت الغلمان لبيع الجريدة في الشوارع واوعزت اليهم ان ينادوا (موت رئيس جمهورية فرنسا) تنبيهاً للناس الى الاقبال على ابتياع الجريدة وفي المساء لم يحضر الاولاد لتقديم حساب المبيع كالعادة ثم جاءني خبر انهم جميعاً في السجن فهرولت الى مدير البوليس اسأله السبب قال انهم ينادون في شوارع المدينة بالجمهورية قلت بل هم ينادون بموت رئيس جمهورية فرنسا قال الا ندري ان هذه اللفظة ممنوع استعمالها هنا فوعدته ان لا اعود الى ذكرها وهكذا اطلق سراحهم

١٤ — نعلن لحضرة العموم

وعلى ذكر الجمهورية اقول جرت العادة ان ينشر الناس اعلاناتهم هكذا

نعلن لحضرة الجمهور اننا قد انشأنا مدرسة الخ

فامر المكتوبجي ان تحذف لفظة الجمهور فيما بعد من الاعلانات وان تستبدل بقولنا (نعلن لحضرة العموم) لان كلمة (جمهورية) تخدش الاذهان وهكذا فانك لا تجد في جرائد بيروت لفظة جمهورية على الاطلاق

١٥ ــ هل الصليب مقدّس

نشرت جريدة البشير الكاثوليكية ان قد وافق اليوم عيد الصليب المقدس عند الطوائف النصرانية فحذف المكتوبجي لفظة (المقدس) الا ان مدير البشير اعترض فلم ينفع اعتراضه واضطر الى حذف اللفظة لكن ما لبث الاباء ان رفعوا شكواهم رسمياً الى الاستانة بواسطة سفير فرنسا فكانت النتيجة على ما يقال عزل المكتوبجي حسن فائز لاول مرة

١٦ ــ صاحب العزة

نشرت جرائد بيروت يوماً ما خبراً عن احد الوجهاء وهو صاحب الرتبة الثانية فبدلاً من ان تقول (عزتلو فلان افندي) قالت (حضرة صاحب الوجاهة والعزة فلان افندي) فحذف المكتوبجي ذلك قائلا ان العزة لله

١٧ ــ موت شاه العجم

في شهر مايو من سنة ١٨٩٦ هجم احدهم على المغفور لهُ شاه العجم ففتك به برصاصة اصابته فذهبت بآمال الاعجام ونشرت جميع جرائد العالم خبر هذا المقتل الفظيع الاَّ جرائد بيروت فانها نشرت الخبر كما يأتي

(ورد قبيل عصر امس نباء برقي رسمي ينعي المرحوم المغفور لهُ ناصر الدين خان شاه ايران المعظم فنكست قناصل الدول اعلامها واسف القوم على هذا المصاب الجلل

(وقد ذكرنا في عدد سابق انهم كانوا في بلاد فارس يستعدون

استعداداً عظيماً للاحتفال بعيد جلوسه للسنة الخمسين في السادس من هذا الشهر فوافاه القدر المحتوم فجأة في وسط ذلك الاستعداد قبيل حلول العيد بيومين او ثلاثة · رحمه الله وجعل الجنة مثواه

١٨ — مالوك وليس ملّوك

قدم بيروت احد افراد عائلة ملوك الشهيرة في مدينة بعلبك واظن ان اسمهُ يوسف افندي بعد ان قضى مدة في اوستراليا فكتبتُ ان قد حضر الى بيروت حضرة الوجيه يوسف افندي ملّوك · فما كان من المكتوبجي الاّ ان حذف اللقب فاصبح الاسم يوسف افندي · قلت لهُ ان في سور يا ماية الف يوسف قال ان الملوك لا يكونون في بعلبك قلتُ ان الرجل ليس ملكاً ولكن اسمهُ ملّوك بتشديد اللام وانا اضع الشدة على اللام قال انها تفقد في الطبع فاضطرّني الامر الى نشر الاسم هكذا (حضرة الوجيه يوسف افندي مالوك) واذ ذاك سمح سعادتهُ بنشر الاسم

١٩ — المأمون والمكتوبجي

كنت ارسل المسوَّدة في عهد حسن فائز افندي مكتوبجي بيروت السابق الساعة الواحدة بعد الظهر فيعيدها اليَّ الساعة الرابعة وقد حذف منها ٦ اعمدة لم يجدها موافقة لذوقهِ اللطيف · فحدث ذات يوم انني استبدلت المقالات المحذوفة بمقالات كنتُ قد اعددتها استعداداً لمثل هذا الاستبداد وبقيَ عليَّ ان املاء فسحة عمودٍ والبريد على وشك ان يسافر فنقلتُ الى الجريدة قصة من نوادر الخليفة المأمون اخذتها بحروفها من كتاب (اعلام الناس فيما جرى للبرامكة مع بني العباس) ظنّاً مني انها امينة من شرّهِ واخذت

المسوَّدة اليهِ هذهِ المرة بنفسي فحذف قصة المأمون · قلت لماذا قال هذه احاديث خلافةٍ مرَّت عليها الاعوام ولا نريد اعادة ذكرها على الاسماع قلتُ ارحمني يرحمك الله اذ يستحيل عليَّ اصدار الجريدة اليوم اذا تمَّ الحذف قال أَشفق عليك اذاً · وسمح باثبات القصة بعد ان اصلح فيها ما يأْتي ·

استبدل كلمة امير المؤْمنين بالحاكم · والخليفه كذلك والاعرابي بالرجل وحذف اسم المأْمون من كل المقالة واستبدلهُ « باحد الحكام » وهكذا نشرتُ المقاله ·

٣٠ — كلام بدون معنى

فلما رأَيتُ انهُ يحذف كل مقالة مفيدة ذات معنى اردت ان امتحن درجة فهمهِ ومبلغ التضييق فكتبت مقالةسياسية تحت عنوان (الاحوال الحاضرة) في صدر الجريدة قلتُ فيها ما يأْتي

" قد عمَّ السلم الارض قاطبةً وقام الملوك والوزراء يعلنون مقاصدهم السلمية فذهب حشمتلو الامبراطور كارنو الثالث قيصر روسيا الى اميركا والقى هناك خطبة لا تختلف في لهجتها السلمية عن الخطبة التي القاها المستر بسمارك رئيس وزارة انكلترا في شيلي قال فيها انه تمَّ عِقد التحالف مع حضرة الامبراطورة اوجيني ملكة فرنسا والارشيدوق رودلف امبراطور البرازيل على ضم امبراطورية سويسرا الى جمهورية المانيا والاتفاق على مد خط حديدي تحت بحر البلطيق يساعد على تسهيل التجارة بين افريقيا والقوقاس · وهكذا فالعالم السياسي اليوم في راحةٍ تامة » الى آخر ما هناك من الخلط والمبالغة فصادق المكتوبجي عليها وذيلها باسمهِ الكريم مع كلمة « كورلمشدر » وطبعت في لسان الحال

وانتشرت بين الناس كما يذكر كل من قرأها من الادباء

ومعلوم ان كارنو كان رئيساً لجمهورية فرنسا ولم يخرج من فرنسا مطلقاً والبرنس بسمارك كان في المانيا ولا علاقة لهُ بوزارة انكلترا ولم يرَ بعينهِ بلاد شيلي والامبراطورة اوجيني منفية من بلادها والامبراطورية ملغاة من فرنسا كما ان الارشيدوق رودلف كان قد مات منتحراً والبرازيل صارت جمهورية وسويسرا جمهورية والمانيا امبراطورية وبحر البلطيق يبعد عن افريقيا قدر ما يبعد العقل عن راس حضرة المكتوبجي · ومع ذلك سمح بنشرها

٢١ ــ الجمهور

ان محرر الجريدة في بيروت لايجوز لهُ ان يذكر كلمة (جمهور) بل يجب ان يقول (الشعب) او (القوم) وفي الاعلانات يقال عادة (نعلن لحضرة الجمهور) فيحذفها المكتوبجي ويضع محلها (القوم) وذلك خوفاً من اشتغال افكار القراء بالجمهورية والميل اليها

٢٢ ــ ايها الغلاطيون الاغبياء

ورد في الاصحاح الثالث من رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطيه في العدد الاول ما يأتي " ايها الغلاطيون الاغبياء من رقاكم حتى لاتذعنوا للحق أهكذا انتم اغبياء "

وحدث ان جريدة دينية للبروتستانت نشرت موعظة لاحد القسس جعل موضوعها قول بولس الرسول لاهل غلاطية · فلما قرأها المكتوبجي استشاط غيظاً وقال من هو بولس القليل الادب الخائن الكافر الذي تجاسر ان يشتم اهل غلطة " وهو قسم من اقسام الاستانة "

٣٢ خالد

لما توفيت المرحومة زوجة المرحوم سعادتلو يوسف بك مطران في القاهرة تلك الميتة الحزنة نشرت جريدة لسان الحال رسالة من القاهرة في وصف الفاجعة وصدَّرها الكاتب بهذين البيتين

لابدَّ من فقدٍ ومن فاقدٍ   فليس بين الناس من خالدِ

كن المعزَّى لا المعزَّى بهِ   ان كان لابدَّ من الواحدِ

فحذف المكتوبجي كلمة خالد من قافية البيت الاول واستبدلها بكلمة (طائد) فقلت لهُ لماذا فعلت ذلك قال · اسم والي بيروت (خالد) قلت نعم وماذا · قال لايجوز ايراد اسم الوالي في سبيل الحزن والتعزية · قلت الامر لسعادتكم ولكن ما هو معنى (طائد) قال « ثابت » قلت وما هو اصلها قال من الطود ولله درهُ ما اقدره على الاشتقاقات اللغوية في امثال تلك المواضع فضحكت وخرجت وهكذا انتشر البيت المذكور على هذه العلة الخبيثة

٣٦ ـ مُكدَّراً

لما قتل المسيو كارنو رئيس جمهورية فرنسا كتبتُ مقالة في صدر الجريدة التي كنتُ احررها في بيروت ضمنتها تعزية الامة الفرنساوية على مصابها وافتتحتها ببيتين للشاعر الاخرس الشهير قال في البيت الثاني

وانَّ الليالي لم تزل بورودها   تسلُّ علينا بالاهلة خنجرا

فجمد الدم في عروق المكتوبجي وحذف (خنجرًا) واستبدلها بخط يدهِ بكلمة « مُكدَّرا » وقصد من الكلمةان لا يرد ذكر القتل والخناجر في وصف موت الرجل او قتلهِ

٣٥ — متى غضبتُ

دادت اليَّ المسوة ذات يوم وقد منع منها المكتوبجي حسن فائز ١٢ عمودًا اي نصف الجريدة فهرولتُ مسرعًا الى سراي الحكومة ودخلتُ عليهِ فقلتُ لماذا منع مولاي كل المقالات وليس فيها ما تخشى منهُ قال · انني لا امنع نشر جميع ما منعتهُ ولكن اردت ان تحضر اليَّ بنفسك قلتُ لماذا لم تامر الغلام باستدعائي قال متى غضبتُ منك امنع نصف الجريدة حتى تاتي اليَّ وهي احسن رسالة واعجل رسول قلتُ وهل انت غاضبٌ عليَّ الآن قال نعم قلتُ لماذا قال لانك خائن للسلطان والدولة والامة فاقشعرَّ جسدي وخفتُ ان يامر بزجي في السجن بعد تلك التهمة الفظيعة

٣٦ — نفر

قلت لهُ ما الذي ظهر لك من جنايتي قال انهُ بالامس لما رجع المطران الياس الحويك الماروني من رومية ملأْت نحو ٣ اعمدة من الجريدة في وصف الاحتفال بقدومهِ والخطب التي القيت امامه واليوم لما سافر عثمان نوري باشا المشير المعظم اكتفيتَ بنشر التفاصيل وقلت انهُ ذهب لوداعهِ (نفر) من الجند · أَلا يعدّ ذلك خيانة قلتُ واين الخيانة قال انك قلت انهُ لم يذهب معه الا نفر والصحيح انهُ ذهب لوداعهِ عدد غفير من العساكر قلتُ يامولاي خفض عليك فالنفر في اللغة العربية لاتفيد الرجل الفرد فقط بل الجماعة قال انا لا احمل القاموس في جيبي فاذا كتبتَ فاكتب ما افهمهُ

٣٧ ــ عواطف المكتوبجي الرقيقة

توفي في كفرشيما احد افراد عائلة كرم وكان محبوباً فرغب اليَّ مدير الجريدة ان اؤبنهُ على صفحات اللسان تابيناً حسناً وان اذكر في مقام التأبين حالة ارملته واولاده وان اكتب عنهم بعض عبارات مؤثرة لعلَّ ذلك يحركُ عواطف الشفقة في صدور الجمعية الخيرية لمساعدتهم · ففعلتُ واخذتُ المسودة الى المكتوبجي بنفسي فلما قراء التأبين المذكور حذف العبارات المحزنة المؤثرة ولما سألتهُ عن السبب اجاب ان كلامك هذا يؤثر كثيراً علىِ االقاري وانت ليس من واجباتك ان تبكي قراء جريدتك واصرَّ فلم أَر بدًّا من الخضوع لامرهِ

٣٨ ــ قصيدة الفرصاد

اتصلت بي قصيدة فرنساويةَ ذات معانٍ جميلة فأقترحتُ على جناب الفاضل اللغوي والشاعر الشهير عبد الله افندي البستاني استاذ البيان في مدرسة الحكمة ان يعرّبها شعرًا فاجاب ولما تمَّ نظمها نشرتها في لسان الحال الاَّ ان المكتوبجي لعنهُ الله منع نشرها ولا ادري لاي سببٍ ومن الغرائب انني بعد ما هجرت بيروت واقمت في لندن مدةً اذا بلسان الحال قد ورد اليَّ ذات يوم وفيهِ القصيده وقد سمح المكتوبجي بنشرها · ومن هنا تعلم ايها القاري ان الرجل يريد قتل العقول فقط والتضييق على الكتاب الى ان يضجروا والاَّ فكيف منع نشرها ثم سمح بذلك بعد سنتين · ولكي يدرك القاري درجة ادراك الرجل انشر الابيات المشار اليها ليشترك معي القاري في الدهشة والاستغراب

الفرصاد

او التوت الشامي

صورة قصيدة فرنسية تتضمن سرد حادثة خلاصتها ان شاباً اسمه بيرام احب ابنة اسمها تسبة وكانا متجاورين لكن بين عائلتيهما نفار يمنع اجتماعهما حتى اذاعيل صبرهما اختطفها الشاب من ثغرة دار ابيها ولجأ بها الى مغارة امامها شجرة توت ثمرها ناصع البياض. وانصرف بيرام الى المدينة ياتي بحاجاتهما فخرجت تسبة الى ظل التوتة ترتاح وقد القت رداها على اصل الشجرة واذا بها تسمع زئير اسد فهربت الى المغارة وجاء الاسد فمزق الثوب وضرجه بدمٍ باقٍ في فمه وعلى مخالبه وانصرف . فجاء بيرام وراى الثوب فحسب ان الحبيبة كانت فريسة الليث فانتحر

ولما هدأ روع تسبة خرجت فرات حبيبها على تلك الحال فندبته وانتحرت بجانبه وفي القصيدة الفرنسية ان دم العاشقين سرى الى اصول الشجرة فاسود لون الثمر حداداً عليهما

مترجمة عن الافرنسية بقلم جناب اللغوي المدقق والشاعر المجيد عبد الله افندي البستاني استاذ البيان في مدرسة الحكمة المارونية اجابة لاقتراح محرر المشير اذ كان في تحرير لسان الحال في بيروت

وذاتِ صيانةٍ عقدت يمينا	على حبِّ امرىءٍ عقداً مكينا
تعبّته بجفنٍ لا يبالي	اذا الاسيافُ زايلتِ الجفونا
ولكن طالما نظرت اليه	بعينٍ قد تهيبتِ العيونا
وشاقته زيارتها ولكن	راى دون اللقى حصناً حصينا
ففي ابويهما ضغنٌ قديمٌ	تلبّث في ضلوعهما كمينا
فلم يتزاورا خوفَ الربايا	ولم يتكاشفا الاسرار حينا
ولكن كان كلٌّ ذا نزوعٍ	الى ان يخبرَ الالفَ اليقينا
فارسل رائداً من ناظريهِ	اليها يحملُ الدمعَ السخينا
فاطلعَ فوق وجنتها نجوماً	تريه في الدياجي الياسمينا
واومأ باليدين الى فوءادٍ	يذلُّ لها وضيعاً مستكينا
فراشت اسهماً من مقلتيها	تعلمه بأنتها الحنينا .

وهزت من معاطفها قناةً　　تحرّكُ من شمائلهِ السكونا
وسلت من حواجبها حساماً　　تقدُّ به رؤوسَ العاذلينا
فهبَّ الى لقايتها بليلٍ　　يراهُ ستار كلّ العاشقينا
ولكن كانَ بينهما جداراً　　يردُّ زجاجه المتسلقينا
بناهُ حولَ مربعهِ ابوها　　بناءً مثلَ همتهِ متينا
فجاءَ بخرقين فصارَ كلٌّ　　يعاني الخرقَ خشية أن يهونا
تعاونهُ عليهِ بلا توانٍ　　وليسَ بني عليهِ لها معينا
لذا خرقاهُ بالعزم الذي ان　　حواه سواها ذاك الحصونا
فلاقاها ولاقته فمدت　　اليه عند رؤيته اليمينا
وحيته بذي بردٍ تباهي　　به حببَ الكؤوس اذا ملينا
فردَّ لها تحيتها بصوتٍ　　يردُّ لسهم مقلتها الانينا
وكاشفها بما في نفسه من　　هواه أن يكونَ لها قرينا
فرفت بالجفون تصاغراً كي　　يكون لزفها ابداً ركونا
وقالت قم فنهجر ذي النواحي　　بلا مهلٍ مخافةَ من يشينا
غدوتُ عقيلةً لك فاتبعني　　ونادِ وانت بعلي يا امينا
وشدَّت وهو متبعٌ خطاها　　يجوبان السهولةَ والحزونا
تباري ظبية الوادي نفاراً　　وتنخرها وتنفضها عيونا
واذ وصلت الى اعلى الرواسي　　رات توتاً يروقُ الناظرينا
فأمت توتةً بسطت ظلالاً　　بها استذرت وفرجت الشجونا
وناطت بردةً كانت عليها　　بغصنٍ فوقها ينأى الغصونا
ونادت يا حبيبُ فشدَّ ليثٌ　　عليها كان قد برحَ العرينا
تضرَّج صدره بدماء كبشٍ　　عظامته به صارت طحينا
فحالت خشيةً منه وجاراً　　يقيها من براثنه المنونا
فسد الليث موضعها فالفى　　رداء ذئبه مرءا سمينا
فهتكه بانيابٍ حداد　　طوال بالدم القاني طلينا
وعادَ الى العرين له زئيرٌ　　قويٌّ يملأ الوادي دنينا

فجاء حبيبُ ذاتِ الخدرِ يبغي … لقايةَ من بها امسى فتينا
فالفى ثوبها قطعاً عليها … دماء تذعر الصب القتينا
فهزّ فؤاده هلعٌ عظيمٌ … تمنى بعده الاَّ يكونا
وصكّ بكفه اسفًا محيًا … عليه كان مدمعه هتونا
وأبنها بقولٍ قصرت عن … معانيه الفحول الاقدمونا
وقال عليكِ روحي يافتاتي … وقفت فلا تظنيني خؤونا
اآنستي علامَ قتلتِ قبلي … اسرّكِ ان اعيشَ فتيً حزينا
ويا اسدَ العرين عراكَ ذم … تكون لدى الاسود به لعينا
الم ترهب لآنستي عيونًا … تبيد بها القساورَ والقرونا
فتكتَ بها بلا سببٍ مسيئًا … وهذا الامر نعل الظالمينا
فلو طالبتني عنها بنفسي … لما الفيتني رجلاً ضنينا
اتفتكرُ ان قتلك للعذارى … ينيلكَ في الشرى النصرَ المبينا
فعرّك في العرينة سوف يغدو … بقتلكَ غرّة الابكار هونا
فما شرف المروءة في هزوم … يكرُّ على فريسته بطينا
وما صدق البسالة في اسودٍ … ابادت من حوت ادبًا ولينا
ولكن في فتىً حرٍ ابى ان … يظلّ بهذه الدنيا سجينا
فشاني ان اموت هنا بزندي … فلا ابغي من الدنيا شؤونا
وانزل مديةً في صدره قد … اكبّ على الرداء بها طعينا
فجاءته الفتاة فابصرته … صريعًا في سبيل الظاعنينا
فضعضعها القنوطُ وحلّ بهتٌ … عليها كاد يورثها الجنونا
تقدمُ مرةً رجلاً واخرى … تؤخرها كفعل الممترينا
عرتها حبسةٌ بلسانها لا … تعالنُ بالحديث به الخدينا
تبسم وهو محتضرٌ فولّى … فكان بقلبها العاني دفينا
فالقت نفسها جزعًا عليه … وقبلت النواظر والجبينا
وقالت ياظلوم اتتركني … اموت كآبةً في العالمينا
الم ترني الامينة في ودادٍ … رايتك فيه ذا ثقةٍ امينا

ففي مهد المروءة قد فطرنا وفي ارض المودة قد ربينا
امتّ الصبر في قلبي شهورا فهل احييه يا أملي سنينا
رعيت لك الذمام فهل تراني اهمّ بعيدَ موتك ان اخونا
تعلمني بفعل يديك باسًا يراه الناس في قلبي رهينا
انا بنت المنون فمن يخلني اخاف ابي يكن عندي غبينا
ولم تلبث ان انتحرت لديه تقول تخذت حب الموت دينا
وهاءنذي اموت هنا وانا عن الدنيا بمصرعنا غنينا

* * * * * * * * * * *

فاروى منهما الدّم توتةً لم تكن تسقي ارومتها المعينا
لحدّت فاكتست ثوبًا رثيثًا من الفرصاد بالبلوى ضمينا

٣٩ ــ السلطانَ لايحتاج اليك

معلومٌ ان الجرائد الافرنجية تضع اسماء الاعلام في مقالاتها الافتتاحية بحروف كبيرة ممتازة . ولما كنتُ اعلم ان الحكومة العثمانية لاترضى الا عن الذي يتزلف اليها ولوضحك عليها كتبتُ مقالة ذكرتُ فيها الطريقة الاوربية وقلت ان السلطان عبد الحميد يستحق ان يمتاز عن سواهُ وان ادارة الجريدة صنعت حرفًا مخصوصًا يمتاز عن الحروف العادية وقررت ان انشر اسم السلطان بالحرف الممتاز حيثما ورد في الجريدة واقترحت على سائر الجرائد ان تحذو حذوي . واخذتُ المسودة بنفسي هذه المرة لعلي انال رضى المكتوبجي فلما قرأها امرني بحذف المقالة المذكورة بدعوى ان السلطان لايحتاج الى مثل هذا الاكرام مني قلتُ اذًا اضرب عليها بقلمك كما هي العادة في كل مقالةٍ محذوفة فأبى ان يفعل وقال احذفها انت وضع سواها محلها واحضر نسخة ثانية لاضع توقيعي عليها . والسبب في ذلك انه خاف ان يحذف مقالة تتضمن مدح السلطان فاجتمعتُ بعزتلو طاهر بك مكاتب جريدة سعادت التركية في الاستانة وعرضت الامر عليه فسار اليه وتوسط في الامر فأبى ايضًا حتى التزمت ان افعل ما امر بهِ ولكني ابقيت المقالة نحو شهر ثم نشرتها بدون عنوان فأمضي عليها وهذا يدلكَ على انهُ مستبد ولا يجري على قانون

٣٠ ــ الحركة فيها بركة

طبع يوسف افندي حرفوش كتاباً في الامثال باللغتين الفرنساوية والعربية وورد في جملتها المثل الشهير " الحركة فيها بركة " فامر بحذف المثل من الكتاب زاعماً ان لفظة الحركة تفيد الثورة

٣١ ــ فكتوريا امبراطورة الهند

نشرت النشرة الاسبوعية للمرسلين الاميركان في بيروت صورة جلالة ملكة انكلترا وكتبت تحتها

(فكتوريا ملكة انكلترا وامبراطورة الهند) فحذف لقبها الاخير ولما اعترض عليه الدكتور هنري جسب الاميركاني قال لهُ كيف تكون هذه الملكة المسيحية امبراطورة على الهند واهالي الهند من المسلمين الاَّ ان الدكتور جسب نشر ما اراد ولم يخضع لاوامرهِ

٣٢ ــ التضييق على الادوية

استدعاني المكتوبجي ذات يوم وقال لي انهُ لايجوز نشر اعلان (مستحاب سكوت) قلتُ ولماذا قال انهُ لايجوز لك نشر كل اعلان عن دواءٍ جديد من اوربا قلت ولماذا قال لان تلك الادوية ربما كانت كاذبة لا تشفي من مرض او ربما كانت مسمومة فيجب على صاحب العلاج قبل نشر اعلانهِ في الجريدة ان يعرض كمية منهُ على عزتلو نظام الدين بك مفتش صحة الولاية فيحللها واذا لم يجد فيها ما يضر يامر بنشرها . وهكذا جرى

٣٣ ــ لهُ السجود والمجد

نشرت جريدة البشير الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت مقالة عن قداسة البابا وورد فيها اسم السيد المسيح فأوردهُ المحرر كما يأتي " السيد المسيح لهُ السجود والمجد " فحذف المكتوبجي الالقاب وابقاها هكذا " السيد المسيح " فلما أعيدت المسودة على هذا الحال الى الدير هرول حضرة الاب انطون صالحاني مدير البشير الى سراي الحكومة واعترض على المكتوبجي فاصر على امرهِ الاول فدخل الاب صالحاني على دولة الوالي وكان في حضرته خليل افندي سركيس صاحب لسان الحال فعرض الاب المسودة على الوالي الذي استقدم المكتوبجي وسأله فاجاب هذا انهُ لايسمح بنشر الالقاب

واذ ذاك نظر الاب صالحاني اليه نظرة الغضب وصاح به « اعلم ياهذا ان مابة الف انسان ماتوا شهداء من اجل هذا الاسم الذي لاتريد اكرامه » فلما رأى الوالي ان الامر اتصل الى هذا الحد التفت الى سركيس افندي وقال اصلح بين الاثنين فلم يجد سركيس افندي بداً من التداخل فقال اظن الاوفق ان نقسم الخلاف بينهما فبدلاً من ان نقول له السجود والمجد نكتفي بالمجد او السجود وقال الاب صالحاني ان السيد المسيح لايعتب علينا فهو سبحانه لايهمه الالقاب الفارغة الاّ ان الاب صالحاني ابى ذلك وانصرف فنشر المقالة كما هي بعد ان اطلع عليها حضرة القاصد الرسولي وحضرات قناصل الدول جميعاً فخاف المكتوبجي ولم يستطيع ان يعاقبه لما علم ان الامر اتصل بالقناصل. فكتم غيظه الى حين آخر

٣٦ ــ صورة المستر استيد

لما كنتُ في لندن عرفتُ المستر استيد محرر مجلة المجلات ومن مشاهير كتاب الانكليز فلما رجعت الى بيروت نشرتُ في اعداد متتابعة في لسان الحال ترجمه حياته وكيف امرت الملكة بسجنه وكيف هاجت نساء انكلترا ودافعنَ عنهُ وذكرتُ جريدته الجديدة المسماة (بوردرلاند) التي ذكر فيها انه يخاطب ارواح الموتى الى غير ذلك من الاخبار التي تلذّ للقراء ولاشيء فيها من السياسية · فارسل اليَّ المستر ستيد صورتهُ على قطعة نحاس ولما كان اسم الرجل قد اشتهر بين قراء سوريا وضعت رسمهُ في الجريدة فحذفهُ المكتوبجي ولما سألته عن السبب قال ان هذا الرجل كان من نحو ١١ سنة يحرر جريدة البال مال غازيت وكتب فيها ضد الدولة العثمانية فلا اسمح لك ان تنشر صورتهُ وهكذا منعني عن نشرها وربما نشرتها في المشير ليطلع عليها القراء ويروا اي ضرر يحصل من ذلك

٣٥ ــ اختراعاتي

لما ضايقني المكتوبجي وضجرتُ من المراقبة وجدتُ انهُ لاينجيني من صرامتهِ الاَّ الاكتفاء بمديح السلطان اومالية الدولة او جنديتها مما اكون قد هيأتهُ قبلاً لهذه الغاية ولما زار امبراطور المانيا الاستانة نشرتُ مقالة عن جندية الدولة العثمانيه كلها مديح وثناء ثم قلتُ فيها ان الامبراطور لما استعرض الجيش العثماني المظفر خطب خطبة غراء قال فيها . (انهُ لم يرَ حتى الآن مثل هذا الجيش في ترتيبه ومظاهر قوتهِ) الى غير ذلك من المديح المخترع الذي لم يخطر ببال غليوم الثاني فسرَّ المكتوبجي من ذلك واغرب منهُ ان جريدة الاهرام نقلت الخطاب المذكور ولم تقل انها اخذتهُ من لسان الحال بل ادَّعت انهُ من اخبار الاستانة ونقلاً عن جرائدها مع ان الخطاب باسرهِ من اختراعي ولم يوجد الا في مخيلتي

٣٦ ــ القاب الملوك

صدر امر المكتوبجي الى جميع جرائد بيروت كما يأتي

لايعطى لقب جلالة وعظمة الا للسلطان

يلقب الملوك والامبراطورين بلقب « حشمتلو »

وحدث انهُ بعد صدور هذا الامر ورد اسم ملكة انكلترا في احدى مقالاتي فلقبتها هكذا (حشمتلها) وهو موءنث (حشمتلو) فغضب عليَّ المكتوبجي وتهدَّدني بتعطيل الجريدة وامرني ان استعمل لها اللقب الاتي « حضرة »

و يلقب شاه العجم بلقب شهامتلو

ولايسمح ان يقال عن سلطان زنجبار (السلطان فلان) بل يقال حاكم

زنجبار ولا يقال لملكة الانكليز (امبراطورة الهند)

٣٧ ــ القاب رؤساء الدين المسيحي

يقال في جرائد سوريا للبطريرك والمطران حضرة رتبتلو فلان · مثلاً لو ورد اسم غبطة بطريرك الروم الكاثوليك يجب ان نقول رتبتلو غريغوريوس افندي يوسف او مطران الموارنة نقول رتبتلو يوسف افندي الدبس

٣٨ ــ المعكروني

بينما كان لسان الحال ينشر رسائل مكاتبه الفاضل نسيب افندي شبلي اثناء تجوله في اوربا نشر مقالة لهُ عن ايطاليا فوصفها وقال انها بلاد يكثر فيها المعكروني حتى لقد يلقب الطليان (بامة المعكروني) فحذف المكتوبجي ذلك زاعماً انه مما يكدر حكومة ايطاليا كأَن جرائد سوريا تحت مراقبته اصبحت نظير التيمس والديلي نيوز حتي تقرأها حكومة ايطاليا وتهتم باقوالها

٣٩ ــ منع القصص الغرامية

كنت انشر في لسان الحال بعض قصص غرامية مترجمة عن اللغات الاجنبية فصدر امرهُ بمنع مثل هذهِ القصص زاعماً انها تعلم الناس العشق

٤٠ ــ بحر المانش

لما رجعت من لندن كتبت رحلتي اليها وذكرتُ ذات يوم انني عبرتُ بحر المانش فى ساعة و ١٠ دقائق فحذف المكتوبجي هذه العبارة · وقد اطلع على مسودتها احد القناصل اذ كان زائرًا ادارة الجريدة فأدهشهُ ذلك وقال ان المكتوبجي صاحب حقٍّ فادهشني كلام القنصل وقلتُ كيف ذلك قال ان كل انسان يعبر المانش في ساعة و ١٠ دقائق اما انت فبصفة

كونك من رعايا جلالة السلطان كان يجب عليك ان تعبره في نصف المدة واراد القنصل من ذلك ان يهزاء بنا وبسلطاننا

٤١ — اكتشاف اميركا

في شهر رمضان يصدر امر المكتوبجي الى محرري الجرائد ان يرسلوا المسودات صباحاً الى منزلهِ لانه لايشرف الى سراي الحكومة الاّ مساءً. فحدث ذات يوم انني ارسلتُ المسودة صباحاً باكراً وعند الظهر جاءَني الخادم يقول ان سعادة المكتوبجي يطلب حضورك الى منزلهِ قبل ان يمضي على المسودة فركبتُ عربة لاصل حالاً لان المسافة بين الادارة وبيتهِ نحو نصف ساعة فلما وصلتُ ودخلتُ الى قاعة الاستقبال وكان من عادته ان يكون لطيفاً في منزلهِ استقبلني ومسودة الجريدة في يدهِ وهو يرتجف غيظاً وقد قدحت عينهُ ناراً وانهال عليَّ بالشتائم باللغة التركية التي لحسن حظي لا افهمها ولكن فهمتُ انهُ يقول انني قليل الادب قلت مهلاً يامولاي فما الذي صدر مني قال الاتدري ياهذا انك في بلاد اسلامية تحت سلطة حاكم مسلم قلتُ ادري ذلك قال اذاً كيف تجاسرت على اهانة الاسلام في جريدتك فارتجف قلبي خوفاً وقلت لعلَّ احد اعدائي قد دسَّ لي دسيسة وزاد على الجريدة مالا علم لي بهِ فسألتهُ ان يريني محل الخطا وبأي كلام اهنتُ الاسلام فاعطاني المسودة ووضع يده على مقالة قد طوَّقها بعلامة زرقاء وقال اقراء هذا الكلام الذي كلهُ خيانة للوطن والدولة فلما قرأت المقالة سكن روعي وكانت المقالة المذكورة جزءٌ من رحلة مدير الجريدة الى معرض شيكاغو وصف فيها القسم الاسباني من ذلك

المعرض وقال انهُ لما وصل وجد على الباب ورقة مكتوبة في إطار ثمين مع سيف قديم وهما التصريح الذي اعطتهُ ايزابلاَّ مع سيف الشرف (لكريستوفوروس كولومبوس مكتشف اميركا عندسفرهِ الى القيام بالاكتشاف) فقلتُ للمكتوبجي انني لا ارى في هذا ما يوجب اتهامي بالخيانة والاهانة قال كيف ذلك وانت تقول ان كولومبوس هو مكتشف اميركا الا تدري ياهذا وانت من محرري الجرائد ان العرب هم الذين اكتشفوها · واؤكّد للقاري انهُ لما انتهى المكتوبجي من كلامهِ هذا كنتُ ادفع ماية ليرا لاتمكّن من الضحك بحرية ولكنني كتمتُ احتقاري لهُ واردتُ اقناعه والخلاص منهُ فقلت انما هي غلطة يسهل اصلاحها فنحن نبقي الخبر على علاته لأنَّ ذلك ما يزعمهُ الافرنج ونضيف عليهِ رأينا بان العرب هم الذين اكتشفوا اميركا فقال حسناً تفعل وهكذا جرى ولا يزال سعادته يتصور براسهِ الفارغ انه خدم الحق والاسلام

٤٢ ــ القانون في رأسهِ

لما اكثر المكتوبجي من حذف المقالات ضجر عبد القادر افندي القباني صاحب ثمرات الفنون وزارهُ ذات يوم فقال لهُ نرجوك ان تعين لنا خطة نجري عليها في نشر مقالاتنا وترينا القانون الذي نخضع لهُ في تحرير جرائدنا فنظر اليه سعادته وقال الاتدري اين القانون فاجاب قباني افندي سلباً واذ ذاك وضع اصبعهُ على دماغهِ وقال ان القانون هنا · فما قول القارىء في هذا الاستبداد

٤٣ ــ رواية عائدة

رضي والي بيروت اجابة لطلب بعض وجهائها ان يمثل اسكندر افندي صيقلي رواية عائدة ثلاث ليالٍ تحت حماية دولتهِ وفي الساعة المعينة بدئ بالتمثيل حتى وصلوا الى الفصل الذي يظهر فيه الجيش على المرسح حاملاً اللواء وقد كتب عليهِ « نصرٌ من الله وفتحٌ قريب » وكان المكتوبجي في المرسح فأمر للحال بتوقيف الجوق عن التمثيل وهكذا أُنزل الستار وانصرف الناس قبل ان تنتهي الرواية لغير سبب الاَّ نشر الآية المذكورة على لواء الجيش في المرسح

٤٤ ــ جبانة الافكار

نشرت في عدد ٣١ من المشير ما يأتي تحت عنوان « جبانة الافكار »

من المضحكات المبكيات ما سمعناه عن رجل في الاستانة بل الجبانة التي قبرت فيها الافكار ولحدت فيها الهمم ليعلم المصريون انهم في جنات وعيون ومقام كريم تحت هذا المليك الذي احب ان يعيش بين الاحرار الذين اسبغ عليهم ظل الحرية الظليل بفضله وكرمه وليعلموا ما فيه غيرهم من الحجر حتى على هواجس الضمائر ليقدروا النعمة قدرها · طلب رجل من ذوي الظهور تاريخ فلاسفة اليونان من صاحب لهُ ليطلع عليه والح عليه في الاسراع بارساله ولما قدمه لهُ شكرهُ وفرح بالكتاب وفي الغد لم يشعر المعير الا وقد ايقظه طارق على بابه واذا هو خادم صاحبه الذي استعار الكتاب وقبل لبس ثيابه لحق الخادم الاول خادم آخر يستحث الرجل للذهاب

ولما وصل عند صاحبه ناوله الكتاب فزعاً جزعاً وقال له اخرج والق الكتاب في مرحاض او احرقه وتعال لاخبرك عن السبب الذي دعا لهذا فخرج الرجل بالكتاب وعاد وحده فقال له اكنت تريد خراب بيتي بكتابك وسلب نعمتي فوقف الرجل مبهوتاً من هذا الكلام وقال ياسيدي هذا الكتاب مطبوع في مصر منذ ستين سنة وقد تداولته الايدي وسار في الآفاق وما سمعنا معترضاً عليه الا ان يكون في شرح مذاهب الفلاسفة ولا ضرر على الدين في نفس الامر من شرح ذلك المذهب فقال الرجل الذي ملا الخوف تجاويف احشائه لايعنينا الكفر وغيره وانما البلاء كل البلاء ان هذا الكتاب احتوى على فقرة تفتت فقار الظهر وهي قوله (تيجان الملوك اسرع انصداعاً من الزجاج) ابعد قراءة هذه الجملة تحفظ الكتاب في بيتك وتلقي صاحبك باعارته في الهلاك وهو لا يعلم فخرج الرجل وهو لايدري مواضع قدمه مما رأى

اللهم ارزقهم عقولاً يعيشون بها وارزقنا همة تخلصنا من هذا البلاء

٥٤ ـ جلالة الامبراطور محمد علي الطرابلسي

تعين هذا الامبراطور الجديد بارادة سامية من حضرة سعادتلو عبد الله نجيب افندي (مكتوبجي) ولاية بيروت ومراقب جرائدها واليك البيان . كتب اليَّ من بيروت ان جريدة (المصباح) نشرت الاعلان الآتي « ان قطعة الارض المشتملة على بيت ٤ أوض ومطبخ ودار ملك محمد علي الطرابلسي معدة للاجرة وعلى الراغبين مخابرة صاحبها) وارسلت مسوَّدة الجريدة الى المكتوبجي (الطيب الذكر) فلما قرأ الاعلان المذكور استشاط

غيظاً وحذف لفظة (ملك) فسأله الامير سعيد ارسلان وكيل المراقبة عن سبب ذلك قال (لاملك الا الذات الشاهانية) وعبثاً حاول الامير اقناعه بغلطه وبعد ان قدح سعادته زناد الفكر طويلاً قال قد وجدت طريقة اوفق وذلك ان استبدل لفظة (ملك) بلفظة (امبراطور) وهكذا فعل واعيدت المسودة الى ادارة المصباح وقد صار الاعلان هكذا (ان الامبراطور محمد علي الطرابلسي معدة للاجرة) فاسرع مدير المصباح الى والي بيروت واطلعهُ على المسودة فضحك كثيراً قدر مابكى المحرر على بنات افكاره الذاهبة ضحية جهل المكتوبجي وعنفهُ على جهله

٤٦ — من اجل زهرة

منعني المكتوبجي عن نشر القصة الاتية في جريدة لسان الحال ولا اعرف لذلك سبباً الا جهلهِ واني انشرها هنا ليطلع القراء عليها ويدركوا مقدار فهمهِ

في ذات يوم من فصل الربيع كان يرى زائر احدى مدن فرنسا كنيستها الجميلة مزدانة بالشموع والانوار والاكاليل

وخرج من تلك الابواب الخضراء شاب شريف استندت الى ذراعه فتاة بارعة الجمال تردَّت بثوب الاكليل وعليه الازهار على اختلاف انواعها وازدان شعرها باكليل من زهر الليمون يتدلى مع شعرها المترامي على قدميها كانه يسألها شفاعة بنفسه لانه صبيحة ذات يوم هب مع هبوب النسيم فلطم خديها والم بنانها

ومن وراء العروسين اقبل اهل الفتاة واقرباؤها والمحتفلون بالعرس واسم

الشاب مار كيزدي كيركو والفتاة وحيدة الكونت كلارفيل واسمها يولاند
ومشت حفلة العرس على ما وصفنا من الابهة يريدون الوصول الى حيث اقامت المركبات في انتظارهم
ثم قالت السيدة بولاند لوالدها
ـ انه لنهار جميل يا ابي فهل لك ان نذهب الى البيت مشاة ؟
فاجاب الكونت بالايجاب وهكذا ساروا في طريق القرية على ماذكرنا من الاحتفال حتي بلغوا طريقاً ضيقاً فوقفوا فجأة اذ اعترضهم في في مسيرهم اقبال جنازة تريد الوصول الى الكنيسة التي خرج منها العروسان.
وكانت مظاهر الجنازة تدل على الفقر وفي النعش المحمول فتاة ليس على نعشها زهرة ولا امامها اكليل مع انهم في ايام الربيع
ووراء النعش رجل يبكي وهو الحزين الوحيد ومن معه من الرجال غرباء · وعند مارأى حاملو النعش حفلة عرس المار كيز وقفوا وحادوا عن الطريق فرفع الرجل الحزين رأسه ونظر الى حفلة العرس الزاهية بحنق عظيم وامر حملة النعش باستئناف السير فلم يصادف امره سامعاً مطيعاً
فتقدم الكونت كلارفيل وخاطب جماعته قائلاً
ـ ايها الاصحاب اعتبروا الموتى وافسحو الطريق لمرور النعش
فكانوا اطوع لامره من بنانه وافسحوا للجنازة مجالاً تمر فيه بينهم ووقفوا باحترام واكرام ورفع الرجال قبعاتهم واحنت السيدات الرؤوس حتى اذا مر النعش بالعروس يولاند محمولاً على ايدي الناس غير مغطى الاَّ بثوب رقيق رأت ضمنه فتاة حسناء تبلغ السادسة عشرة من عمرها فحزنت لمصابها

وزاد في حزنها ما راته من عدم وجود زهرة واحدة على الاقل فوق نعش الطهارة الشباب

وفي طرفة عين اخذت زهرة من اكليل عرسها الجميل ووضعتها بلطف على النعش. ورأى الحزين عمل بولاند فلانت عواطفه وستر وجهه بيده وبكى . فسأل الكونت كلارفيل من الرجل قيل له انه غريب قدم المدينة مؤخراً مع اخته وكان شديد التعلق بها فمرضت وماتت وصباح اليوم اراد ان يحتفل بجنازتها ودفنها فقيل له ان في الكنيسة حفلة زواج فلم يمنعه ذلك عن عزمه

وعند ذلك استانفت حفلة العرس المسير وفي برهة وجيزة تحول قرع الاجراس من الفرح الى الحزن . وعند الباب وقف الحزين وسأل احد الواقفين

ــ من هي تلك السيدة الحسناء ؟

ان كنتَ تعني العروس فهي السيدة بولاند

ــ اسعد الله حياتها

. . . .

بعد مضي عشرين سنة على الحادثة التى تقدم ذكرها بدات الثورة في فرنسا وهب رجال العامة على الاعيان وارسلت الحكومة الموقته الى مدينة نانت رجلاً حاملاً اوامر مشددة بالتضييق ماستطاع على ذوي المكانة

وكان اسم هذا الحاكم كارير فامر ان يزج في السجن عدداً غفيرا من المظنون بهم فجمعوا هنالك النساء والغلمان وكانوا كل يوم يغرقون في النهر عدداً غفيراً ، وجعل في القاعة الفسيحة لجنة تشبه المحكمة يحضر

اليها القوم ويقسمون الى فريقين المظنون بهم والمحكوم عليهم فمتى وقف احدهم امام كارير صاح بالحرس ان هذا محكوم عليه بالاعدام فيسرعون وينقلونه الى السجن حتى ساعة الاعدام المعينة فلا يبقون عليه

وفي ذات يوم نادى كاتب المجلس « هنري دي كيركو » فحضر امام الحاكم شاب في الثامنة عشرة من عمره فقال الحاكم

ـ انت متهم بانك مقاوم لنا

ـ نعم قتلتم والدي وسأفي الدين شاني في كل حال · واذا بصوت امراة قد اخترق الجمع قائلة بلهجة المستجير

ـ هنري ··

فنظر كارير حوله وللحال أُخذ هنري من امامه واحضر بدله امرأتان فسأل الكبيرة

ـ انت والدة هذا الشاب

ـ نعم وهذه شقيقته

وما هو اسمك

ـ يولانددي كلارفيل ماركيزة دي كيركو · فاعلن كارير ختام المحاكمة وقال

ـ حكمنا على هولاء الثلاثة بالاعدام

فأُخذوا الى السجن وكان موعد الابتداء بالاعدام الساعة التاسعة مساءً يقيد كل اثنين سوية ويوضعان في قارب حتى اذا بلغوا بهم منتصف النهر ذبحوهم او اطلقوا عليهم الرصاص وطرحوا جثثهم طعاماً للحيوانات

اما مار كيزة كيركو وولداها فانتظروا وقت اعدامهم بصبر وخوف واذا بباب سجنهم قد فتح وجاءهم السجان يطلب الفتاة وحدها فخرجت الى ان صارت في غرفة كارير فانصرف الحارس ثم لما انفردا قال لها

ـ ما اسمك

ـ ايفون دي كيركو

ـ هل تحبين والدتك

ـ نعم ياسيدي

ـ وشقيقك

ـ واي حب احبه

ـ ماذا تبذلين من اجل نجاته

ـ ابذل نفسي ان وفت بالمراد

ـ لا اسألك بذل نفسك بل ان تلتزمي الصمت فما هو عمرك

ـ ١٦ سنة يا سيدي

ـ اذاً حتى الآن لم تتعلمي الكذب فاصغي لكلامي هوذا رسالة اعهد بها اليك مشترطاً انك لاتفضين ختمها حتى نصف الليل ولا تحدثي احداً بامرها . قد وعدت بذلك فانصرفي

فاخذت الفتاة الرسالة ووضعتها في جيبها ونقلت ثانية الى السجن وقبل ان تمكنت من الاعلام والدتها بهما تمّ فتح الباب ثانية ودخل الحارس وامرهم جميعاً ان يتبعوه صامتين

فساروا فى الشوارع المظلمة حتى بلغوا الشاطئ فابدى الحارس اشارة

واذا بقارب ظهر فركبوه

ولبثوا في خوف ووجل بضع دقائق ثم رأوا مركباً قد وقفت في مركز خفي وقبل ان انتبهوا من غفلتهم رأوا ذواتهم على ظهر تلك المركب وقد عاد الحارس في قاربه الى الشاطىء . ولما هدا روعهم قال هنري للقبطان

ــ مامعنى كل هذا ؟

ــ معناه انكم نجوتم

ــ وكيف ذلك ومن الذي انقذنا

ــ لا ادري . وجل ما اعلمه انني اليوم حصلت على ورقة ضمنها مبلغ وافر من النقود مآلها ان انتظر ثلاثة اشخاص يركبون باخرتي فاذهب بهم الى انكلترا ومع التذكرة والمال جواز عليه توقيع كارير الحاكم

فتعجب الثلاثة لهذا الخبر ولم يعلموا سببه اخيراً قالت الفتاة للقبطان

ــ أما الساعة الآن ؟

ــ الثانية عشرة ونصف

فاسرعت الفتاة واخرجت الرسالة من جيبها وفضت ختمها وهذه صورتها

« الى السيدة يولاند دي كلارفيل »

« منذ عشرين سنة في يوم زواجك وضعت زهرة من اكليل عرسك على نعش شقيقتي وكانت في الساعة السادسة عشرة من عمرها . فارغب ان أفي الدين الذي عليّ « ومن اجل زهرتك » امنحك ثلاثة انفس

الامضاء

كارير

٤٧ هواجس

جاءني صديقي الامير امين ارسلان ذات يوم ودفع لي ٨٠ فرنكاً من ماله الخاص وسألني ان اجعل تلك القيمة جائزة لعمل ياتيه قراء الجريدة اقتداء بجرائد اوربا وهي غيرة تذكر لجناب الامير الكريم بالشكر العظيم فاخترتُ قصيدة للشاعر الفرنساوي (الفريد دي موسيه) عنوانها (تذكّري) ونشرتها في لسان الحال باللغة الفرنساوية ثم نشرت ترجمتها نثراً حرفياً لفائدة الذين لايعرفون اللغة الفرنساوية وعرضتُ على الشعراء ان ينظموا القصيدة المذكورة في الشعر العربي مع حفظ كل معانيها وعدم زيادة شيء عليها من المبالغات العربية ونشرتُ شروط الجائزة وغير ذلك بما استغرق ٤ اعمدة من الجرائد واخذتُ المسودة بنفسي الى عبد الله افندي نجيب المكتوبجي فلما راى المسودة اشار الى القصيدة الفرنساوية وقال ماهذا فاعلمتهُ بجلية الخبر فحذفها للحال قائلا ان امتياز جريدتكم ان تنشروها باللغة العربية ثم امرني ان اقراء مابقي فقرأتُ لهُ ترجمة البيت الاول وهو

(اذا شابت ناصية الليل واشرقت الشمس على قصرك البهيج تذكري)

فقال مامعنى تذكري والى من يرجع الضمير قلتُ ان الشاعر اراد عروس الشعر وهو يذكرها بزياراته فحذف العبارة قائلاً « هذه مغموطات » اي اشياء غامضة لا يفهمها . فصبرت وقرأتُ لهُ ترجمة البيت الثاني وهو « اذا اظلم النهار وجاء الليل بهواجسه فتذكري » وما انتهيتُ من لفظ كلمة (هواجس) حتى نهض عن كرسيه مذعوراً وصاح بي « هو اجس يوقتور

يوقتور هواجس » اي انه لايمكن نشر كلمة هواجس وما لبث ان حذف المقالة باسرها وابى انه اتمم له القرأة فخرجت وانا العن ساعة وجد فيها والدي واجداري في تركيا وسرت الى والي الولاية وكان يومئذٍ خالد بك افندي المنفي اليوم في قيصرية وهو يعرف الفرنساوية والعربية وعرضت الامر عليه فضحك كثيراً وقال اما الاصل الفرنساوي فلا اقدر ان اعارض المكتوبجي فيهِ ولكن لاباس من نشر العربي ثم استدعى حضرة (اللوذعي) ميشل افندي اده ترجمان الولاية واوعز اليهِ انه يخبر المكتوبجي انه لاباس من نشر الترجمة فدخل اده افندي على المكتوبجي ثم عاد فقال لي الا وفق ان تضرب صفحاً عن نشر هذهِ القصيدة لان المكتوبجي معارض وهو اذا خضع لامر الوالي هذه المرة وسمح لك بنشرها فانه ينتقم منك بحذف عدة امور غيرها في الايام الآتية فرأيت من الحكمة ان اتبع مشورته وهكذا حذفت المقالة وكان لمسئلة الهواجس رنة في بيروت ونشرتها جرائد اوربا وكشف النقاب في باريز والدايلي كرافيك في لندره مع صورة هزلية تمثل المكتوبجي وانا امامه وهو يرتجف وامامه لسان الحال عليهِ كلمة هواجس

٤٨ ـ جنود وفرنسا

ترجمت ذات يوم من الجرائد ان صحة الجنود والفرنساوية في الداهومي ليست على مايرام فحذف المكتوبجي ذلك وامرني ان اذكر ان صحة الجنود حسنة

٤٩ ـ مقالات النساء

نشر لسان الحال بعض مقالات من اقلام السيدات ففي ذات يوم جاء المكتوبجي الى الادارة وسألني اذا كانت الكتابة المذكورة من

النساء حقيقة فأجبتهُ بالايجاب قال من الان فصاعداً لاتنشر مقالاتهنَّ لان ذلك يفتح عقولهنَّ اكثر من اللازم وليس من شأن المراة ان تهتم بهذهِ الامور

٥٠ ـ القرآن والحديث

لايسمح المكتوبجي للجرائد والكتب ان تورد اية قرآنية ولا الاحاديث زعماً منهُ ان الكتب والجرائد تطرح على الارض وتمزق وفي ذلك من الاهانة ما فيهِ

٥١ ـ باشا . باشه

نشرت جريدة الاحوال خبر قدوم عزتلو الياس بك الباشا من زحلة الى بيروت فغير لقبه من باشا الى باشه لئلا يظن انه نائل رتبة باشا

٥٢ ـ مالك هنا ياتوما

قراءَ المكتوبجي رسالة فيها « مالك هنا ياتوما » فظن ان المقصود من (مالك) (ملك) فحذفها واستبدلها بلفظة (كونت) فجأت العبارة هكذا (كونت هنا ياتوما)

٥٣ ـ خليفة بطرس

نشرت مجلة الكنيسة الكاثوليكية رسالة ورد فيها ذكر قداسة البابا ولقبهُ الكاتب بلقب خليفة بطرس فصدر الامر بالغاء الجريدة فأُلغيت

٥٤ ـ مدارس . مكتب

يكره المكتوبجي ورود لفظة مدرسة ويستبدلها دائمًا بلفظة مكتب لسبب اجهله فحدث يوماً ان جريدة كتبت مقالة عن الهند وقالت فيها وصل

السائح الفلاني الى مدراس فظن سعادته ان المقصود بمدراس (وهي مدينة) مدرسة فاستبدلها بلفظة مكتب

هذا قليل من كثير من براهين جهل المكتوبجي اوردتها للقاري عسى ان يدرك مقدار العذاب العظيم الذي يقاسيه اصحاب الجرائد في تركيا وخصوصاً في سوريا

ولستُ اريد من نشر هذا الكتاب الاَّ بيان مساوي الحكومة العثمانية ليدرك كل انسان ماهي درجة خمولها وظلمها وبالتالي ليشترك الجميع في السعي وراء اكراهها على الاصلاح

ولا يخطر للقاري انني اريد الانتقام من المكتوبجي فقد انقذني الله من سلطته الظالمة

يقول بعض الجهلاء في جرائدهم انني خائن الدولة وانني أطعن عليها لانني أرغب سواها وان حكومة بيروت طردتني وانها لاتعتبرني وانني كنت في بلادي موضوع الاحتقار

وأقول أنا انني غير خائن فصديقك من صدقك لامن صدَّقك وانني لاأطعن على دولتي حباً بسواها بل غيرة عليها ورغبة في اصلاحها وان حكومة بيروت تعتبرني وانني كنت في بلادي محل رضى الحكام وثقتهم

ولا أعرف برهان الطاعنين على انهم لم يظهروه شأنهم في كل كتاباتهم يكتفون بالقول ويغضون عن تقديم البرهان

أما برهاني على صحة قولي فهو هذا الكتاب الذي ورد اليَّ من

حضرة جابي زاده سعادتلو حسن فائز أَفندي الذي تولىّ مامورية المكتوبجي في بيروت مدة ٣ سنوات كتب اليَّ هذه الرسالة من يانيه عقيب رجوعي من انكلترا قال

يانية في ٢٤ فبراير

أيها الفاضل

قبلاً بلغني عودك الوطن فسررت لسلامتك و بادرت الى تهنئتك برجوعك سالما لان صدق عبوديتك واخلاصك لايشك بهما الا الاسود المعاند كونهما كفيلين ضامنين لك النجاح والفلاح حالاً واستقبالاً بظل سيدنا ومولانا الخليفة الاعظم ايده الله بالنصر والتوفيق ولما كنت أَعلم الناس بك وبما جبلت عليه من الصداقة أُعد نفسي مديونا لأَسعى عند سنوح الفرصة لما يسرك من أسباب رضى الخليفة الاعظم والموفق هو الله سبحانه وتعالى وفي الختام اقبل احترام صديقك حسن فائز

هذا هو المكتوبجي الذي كان يضيق عليّ يشهدلي هذه الشهادة غير مطلوبة منه ولا هو مضطر الى اعطائها أَما المكتوبجي الحالي الذي شدَّدت عليه النكير في كتاباتي فلا يعرف اللغة المعربيَّة وهو فاسد من طبعه

ملحق حاوي خير

رأَيت ان اتحف القراء بشيء لايخرج عن الموضوع وهو ان انشرلهم القاب السلطان عبد الحميد فقد ذكرتُ في هذا الكتاب ان الحكومة العثمانية أمرت بجعل لقب ملوك اوربا حشمتلو وان لقب الجلالة او العظمة لايستعمل لغير السلطان ولكن هناك من الالقاب المستعملة لتمجيده مالا يحصى

تقع البلاد العثمانية من عرش السلطنة واحدة واحدة ويأتي المنافقون فيضعون مواضعها الالقاب · فكلما سقطت بلدة سدُّوا مكانها بلقب حتى اصبحت الالقاب تزيد على السبعين لقباً · ولكن اذا قابلنا بين البلاد الضائعة وبين هذا العدد وجدنا انهم قدَّموا سلفاً ما يكفي لسقوط بعض البلاد في المستقبل اغتناماً من هذا الخير العظم والمجد الكبير واستعجالاً بهذا الفخر السني

وهذهِ الالقاب الشريفة التي يكفي بعضها للانبياء والمرسلين وملوك الارض الفاتحين آلافاً من السنين قد جمعناها من عدد واحدٍ من جريدة اقدام التركيه تاريخ ١٨ شعبان سنة ١٣١٢ · ولو سمع انسان قارئاً يقرأُها لظن انه بجانب صومعة فيها راهب او خلوة فيها عابد يتلو اوراداً مملوَّة بالتسبيح والتمجيد والتقديس والتحميد لله سبحانه وتعالى · ولم يكتفوا من التقديس المختص بالله واسمائه ببناء اسم المفعول منه حتى بنوا منه افعل التفضيل فقالوا « اقدس » واستعملوه لكل مايتعلق بالسلطان · ولم يسمع المسلمون في كتاب من الكتب الاسلامية على اختلاف انواعها ومشاربها لفظة التقديس اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الذي يعلمه المسلمون اسناد التقديس الى الخالق سبحانه فقط فيقال تقدست اسماؤُها ويقولون الحضرة القدسية على حضرة ذي الجلال سبحانه وتعالى · ومن العجيب ان هذا يفوت على الناس ولا يلتفتون اليه وربما اطالوا اعناقهم لسماعهِ افتخاراً به · تصوَّر ايها القارئ الفاروق رضي الله عنه جالساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله الصحابة رضوان الله عليهم يقولون له ياعمر ·

ومفاتيح البلاد وقواد جيوشه امامه · ثم تصور وقوف رجل بيده جريدة
المشير يقول اسمعوا ايها المسلمون ما يضاف من الالقاب الى اسم السلطان
عبد الحميد الخليفة في اواخر القرن التاسع عشر الذي ضاع ثلث ملكه
والباقي ان لم يتداركه الله على اثره · ماذا كان يقول عمر وما كان يقول
الصحابة اذا سمعوا القاري يقرأ · ظل الله سلطان البرين خاقان البحرين
شهنشاه (ملك الملوك) ملكدار (ممسك الملك) جهانباني (باني الدنيا) تاجدار
(ممسك التاج) شهريار · كيتي سباني (الملك) شاه جهانبان (ملك العداله)
خان · ظل يزدان (ظل الله فارسية) ذات كروبي (صفات الذات الموصوفة
بصفات الملائكة الكروبين) بادشاه · امير المؤمنين شهنشاهان (ملك ملوك
الملوك) خلافتبناه ملجاء الخلافة امام الموحدين · قدر تلوشو كتلوعظمتلو
وكيل النبي المطلق · نائب الرسول · جليل المناقب · شاه عالي جاه · ذات
قدسيت صفات حميد الخصال · دريانوال (سلطان البحر) حامي السلم ماحي
الظلم ناشر العدل خليفة روى زمين (خليفة وجه الارض) سوكيلي سلطان
(السلطان الحميدي) عالمبناه (ملجاء العالم) · جنبكار (ملك) مشيد اركان
الدولة · موأيد اساس الشريعة · جامع فضائل العدالة · حامي حوزة الدين
باني بنيان الدولة الثاني · وفير الاثار · عظيم الاقتدار · اعدل شهرياريان
عثمانيان · اعظم حكمداران زمان · حامي اعظم دين مبين · ونكهبان (حافظ)
افخم شرع دين كزين · بادشاه عدل آيين وشهنشاه ديانت · بدر منير آسمان
(جمع سماء) خلافت · وماه (قمر) تابنده اوج سلطت متبوع مقدس · ولي
نعمة العوالم سات · قومندان اقدس (ولم نعد نرَ في الجرائد عنوان الغازي

والظاهر انهم استبدلوه بهذا اللقب) شوكتماب ارحم واشفق بسطو تبروز خذادن سراير خلافت عظما • وجهانبان فريد مكارم نما •

اما العنوان التلغرافي لجلالة السلطان فهو هكذا

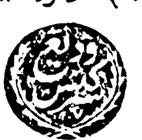
در سعادت – خاكباي شاهانه يه • اي الى غبار الاقدام الشاهانية

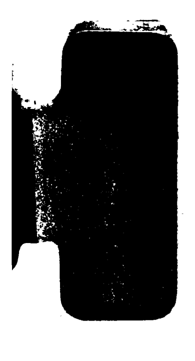
والظاهر ان رجال المابين علموهم ارسالها الى حيث يكون مرجعها فارسلوها رأساً الى الا قدام اما في الكتب فعنوانهُ هكذا) الوكيل مطلق صاحب نبوّت وخليفة صديق سيرت شهريار ذو النورين صفت بادشاه حيدر شيم • شهنشاه مفخم جهانباني مقدس ومفخم • ظل الله على الارض ولي نعمة العالم شوكتلو قدرتلو عظمتلو ولي نعمتمز بادشاهمز افندمز حضرتلري

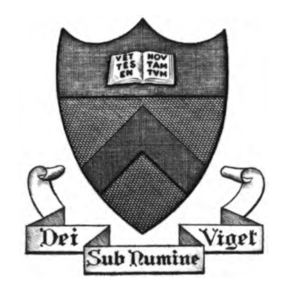
ويكتب لجلالته ايضاً – عتبة فلك مرتبه • سائيه مرحمت وابه سائه قدر ثوابه سايه معارفوائه سائه سطوت وايه سطوتمات شوكتماب عتابه كستر مرحمت برودر • انتهي والحمد لله اولاً واخراً

افيقوا ايها الناس • وتنبهوا للكوارث المحدقة بنا والفوادح المقبلة علينا • ولا تفرحوا بهذه الالقاب التي اعطاها البعض للسلطان في جرائدهم بل افرحوا باستخلاص البلاد التي ضاعت من الدولة او حفظ الباقي فيها

تحفى الاقلام • وينضب الكلام • ولا يبلغ كاتب وان ملك البلاغة واستعبد الكلام • ان يصف حال الاسلام وما احاط به من الكروب ووقع عليه من الخطوب وما يتوقعه من النوائب ويتخوفه من المصائب • ولو تجرد مسلم عن شواغل نفسه لرأي الاسلام منحنياً تحت استار الكعبة او بجانب نافذة من الروضة النبوية يئن انين الفاقد ويبكي بكاء الثكلي ويتوجع توجع الجريح ويتضجر تفجر المحتضر قد بحَّ صوته لانذار بنيهِ وتحذير ذويه • ولا اذن تصغى ولا عين تنظر






VET TES EN
NOV TAM TVM
Dei
Sub Numine
Viget


Digitized by Google